
ممدوح رزق
مقتل نجمك المفضّل
نوفيلا
دار عرب
للنشر والتوزيع

مقتل نجمك المفضّل

نوڤيلا

ممدوح رزق

"مسح سكينه المغطاة بالدماء في العشب، ومشى ببطء نحو البيوت، دون أن ينظر إلى الخلف. لقد أكمل مهمة الثأر، ولم يعد الآن أحدًا. لقد أصبح الغريب، ولم تعد له مهمة على الأرض، أو مصير ينتظره، فقد قتل رجلًا".

قصة "النهاية"

بورخيس

شباك مفتوح ...

أمل عبد الرحمن محمد المنزلاوي .. 54 سنة .. صاحبة محل أسماك في شارع محمد فريد بمنطقة ميت حدر .. عُثر عليها مقتولة داخل شقتها في الدور الثالث بالعقار رقم (7) بحارة اللبن المتفرّعة من شارع محمد فريد في منطقة ميت حدر .. وُجدت جثتها عارية تمامًا، وتحتوي على طعنات في العينين والأذنين وفتحة الشرج، كما قُطع أنفها ولسانها وأصابع يديها وقدميها فضلًا عن طعنة في القلب .. عُثر فوق بطن الجثة على أثر سائل منوي يُحتمل أن يكون للقاتل.

عماد محمود لطفي عاشور (زوج القتيلة) .. 49 سنة .. عامل بمحل الأسماك المملوك لزوجته .. عُثر عليه مقتولًا داخل الشقة نفسها بمنطقة ميت حدر .. وُجدت جثته عارية تمامًا، وتحتوي على طعنات في العينين والأذنين وفتحة الشرج، كما قُطع أنفه ولسانه وأصابع يديه وقدميه فضلًا عن طعنة في القلب .. عُثر فوق بطن الجثة على أثر سائل منوي يُحتمل أن يكون للقاتل.

تم اكتشاف رسم بالدماء (يُرجّح أن يكون مزيجًا من دم القتيلين) فوق حائط بغرفة النوم التي وُجدت الجثتان داخلها، يصوّر شباكًا بضلفتين مفتوحتين، وبجواره كتابة بالقلم الفحم لمقطع من إحدى قصائد بودلير:

أنا الصرخة الحادة في صوتي

والسُم الأسود في دمي

أنا المرآة المشؤومة التي تتملى

فيها المرأة الشرسة وجهها

أنا الجرح والسكين أنا الخدُّ والصَفعة

أنا الجسد ودولاب التعذيب

أنا الجلاد والضحية

أنا مصاص دماء قلبي

وأحد هؤلاء المنبوذين العظام

الذين حُكم عليهم بالضحك المؤبد

ولكن امتنع عليهم الابتسام.

لم يُعثر على الملابس التي يُحتمل أن القتيلين كانا يرتديانها عند وقوع الجريمة، كما لم يُعثر على الأسلحة والأدوات المستخدمة في القتل والتقطيع داخل المنزل.

وُجد قناع كارتوني ملتصقًا بوجه القتيلة الأولى للمذيعة "ليلى رستم"، كما وُجد أيضًا قناع كارتوني ملتصقًا بوجه القتيل الثاني للكاتب "طه حسين".

بطوط ...

تحوّل بيتي في ميت حدر إلى ما يشبه كوخًا كبيرًا له مدخنة تسد أعشاش الطيور فوهتها أحيانًا، وحديقة مُشيّد فوق إحدى أشجارها بيت خشبي صغير، أصعد إليه أنا وأبناء أختي، ومعنا البسكويت والبرتقال وعصير الليمون في أصائل الشتاء .. ملحق بالبيت جراج توجد به سيارتي التي جمعتها من قطع الغيار القديمة وتحمل الرقم 313 .. بالحديقة أيضًا صندوق بريد مثبّت فوق حامل خشبي ومدوّن عليه اسمي .. تحوّل بيت جدتي في سيدي عبد القادر كذلك إلى مزرعة .. تحوّلت المنصورة كلها إلى مدينة البط .. ستكون أكبر مشاكلي بُخل خالي، وحظ ابن خالتي، وعصبية خطيبتي، وشقاوة أبناء أختي، ومقالب السناجب التي تسكن واحدة من أشجار حديقتي .. سأكون قادرًا على مصادقة جميع شخصيات القصص المصوّرة الأخرى، وحكايات الأطفال، وكلاسيكيات السينما الملائكية، والدراما القديمة، والتنقل معهم داخل كل مغامرة، وخلق قصص جديدة من مزيج ذكرياتي ورؤى اليقظة وأحلامي بالمدينة .. ستمتلئ حوائط بيتي بالصور الفوتوغرافية التي تُخلّد مشاهد تلك الألوهة.

القاتل لا يختفي أبدًا من مسرح الجريمة ...

يعاين المحقق مسرح الجريمة كمن يتساءل: هل يكتب ما لم ينجح في الحصول عليه (التاريخ، الذكريات، المدينة) مُصاغًا بأحلامه في امتلاكها لأحلام الآخرين (جميع الآخرين)؟ .. الأحلام الكامنة والعابرة بين الكتب التي يترصّدها كل ما كتبه هو نفسه من قبل، ومازال عاجزًا عن التوقف .. القاتل لا يختفي أبدًا من مسرح الجريمة حتى لو تبدد جسمه إلى الأبد .. لكنه يبقى في علاماته الشخصية التي يتركها داخل المشهد وتقاطعاته الممتدة حتى لو كانت تلك العلامات نوعًا من التشويش المتعمّد أو العبث الارتجالي .. لذا فالقاتل يكمن تحديدًا داخل الخيالات العشوائية لتلك العلامات .. لا يتوقف عن التأرجح في ضبابيتها وهو ما يتطلب من المحقق تأرجحًا مماثلًا .. جموحًا غير متوقع .. كأن لا تقوم بعزل كل مُعطى عما يتنافر معه من المعطيات الأخرى لإيجاد مسار عقلاني مستقل كاشف لدلالاته، وإنما عليك تشريح المعطيات في ضوء التنافر الذي يميزها.

يجمع المحقق الأدلة في يأس مهتاج محاولًا التوصل إلى طريقة مضمونة بإحكام لتحويل تلك الكتابة المفترضة إلى سياق واقعي لطفلته التي أكملت ـ للأسف الشديد ـ عامها العاشر منذ أيام .. يكشف الآثار التي يتمنى لو لديها القدرة الحاسمة على دفعه لتمضية ما تبقى من وقت كجسد من (لم يحدث أي شيء) باعتبار أن ذلك اليقين المخاتل هو ما جعل كل الجمال أو وهم الجمال بمعنى أدق يصل إلى ذروة الضجر النهائي: الشعور الطفولي بالأماكن والأزمنة والعلاقات (الأسرار الشهوانية القديمة).

يرصد المحقق على نحو مبهم الروح الهزلية الكامنة في الجريمة .. الطفولية المتهكمة القادمة من عالم الكوميكس التي تصوّر بشاعة تفاصيلها .. يشعر بما يشبه النقاء الكارتوني العجيب، كأن القاتل ليس إلا ولدًا مغامرًا يتحرّك عبر رسومات ملونة من المشاهد غير الواقعية .. أن الدماء الغزيرة ليست إلا دليلًا على البياض المفتت لقلب ذلك الولد.

كشف المحقق من قبل عن الأصل الواقعي لرواية "القضية الغريبة لدكتور جيكل ومستر هايد" وهو قضية مقتل دكتور جورج باركمان على يد صديقه دكتور جون ويبستر عام 1849، بكلية الطب جامعة هارفارد في مدينة بوسطن الأمريكية .. الدافع وراء تبرير إدجار آلن بو القسري لتحليلات "سي أوجست دوبان" صديق الراوي في قصة "جريمتا شارع مورج" وهو أن دوبان بمثابة النسخة المضادة لـ "بو"، التي تكوّن مع الراوي تناغمًا مع مثلية كونية تدعمها نظريات إبيقور .. السبب الذي جعل أجاثا كريستي تضحي بالحبكة للتستر على حارس المنتزه في قصة "الكلب المفقود" وهو عاطفتها تجاه مس كارنابي التي أرادت أن تضمن لها العفو من خلال تسوية أخلاقية مع بوارو .. قرائن المشابهة التدميرية بين هانتا في رواية "عزلة صاخبة جدًا" لبوهوميل هرابال، وجان باتيست غرنوي بطل رواية "العطر" لباتريك زوسكيند: القبو الذي كان يسحق هانتا الكتب داخله ومدبغة جريمال التي عمل غرونوي وسط روائحها النتنة، استخراج هانتا الأفكار من جثث الكتب واستخلاص غرونوي العطور من الجثث البشرية، كلاهما موصومان بلعنة حسية؛ هانتا بسبب قذارته الجسدية ـ حيث تعيش الفئران في ملابسه، ولا يحب الاستحمام ـ الناجمة عن الطبيعة الكريهة لعمله وغرونوي نتيجة غياب الرائحة عن جسمه، الوحدة، تحوّل هانتا إلى كيان من شظايا اللغة المنتزعة من الكتب التي أتلفها وتحوّل

غرونوي إلى مزيج من عطور البشر الذين قتلهم .. التوحد بين "لاندير" الذي قتله أهل القرية و"بروديك" الذي أجبره رجالها على كتابة تقرير تبريري يحميهم من الإدانة في رواية "تقرير بروديك" لفيليب كلوديل؛ حيث الرواية حلم أو وثيقة سردية خلقها خيال بروديك الشخصية التقليدية المذعنة لسلطة العمدة، وتكتب الواقع كيفما طُلب منها، مخبئة أفكارها ومشاعرها الذاتية في ظلام الوعي، وهو أيضا الشخصية الجمالية المقابلة له (الأخر) التي تكتب الواقع (ترسمه) كما عاشته حقًا، وتعلنه بشجاعة ساخرة .. مصدر تحوّل (الأشياء) إلى (نصوص) في وعي فرجينيا وولف، وهو الاستغراق التام في القراءات المبكرة لكتب أبيها التي كانت بديلة لحياة طبيعية لم يُسمح لها بممارستها، وذلك ما جعل العلامات أو الإشارات المكانية بالنسبة لها فضاءً نصيًا لتسرّب وتحوّل نصوص في نصوص أخرى، وعيّن التناص كجوهر لاقتفاء أثر أصوات الهذيان التي وثقتها رسالة انتحارها .. الدليل على أن موت الجدة في قصة "إبريق العرس" لفيليب سميث يُعد إتمامًا لزفافها المؤجل مع "تومي" حبيبها المنتحر، وهو وجود الإبريق كرمز احتفالي للزواج في يد الجدة بينما كانت تتحدث عن الساعة التي أرسلها إليها "تومي" يوم زفافها قبل انتحاره باعتبار هذه الساعة موعدًا لعرسهما الذي لا يقع داخل الحياة قبل أن يتدحرج الإبريق من يدها وتموت .. كشف المحقق أيضا عن الأسرار في أعمال بيلي كولينز، دنيس ليفرتوف، كيم أدونيزيو، تيودور رتكي، لويز غليك، تيد كوزر، دوريان لوكس، ليديا ديفيس، خوسيه ميرينو، جي دي موباسان، خوسيه إميليو باتشيكو، كازو إيشيغورو، روث نستفولد، باسكال روز، كافكا، جون شتاينبك، خابير مارياس، خوان رامون ريبيرو، سكارلت توماس، جريس نيكولز، دوريس ليسنج، وغيرهم الكثيرين .. فعل ذلك كأنما يرسم تصوّره الخاص للسفّاح الأصلي، خالق الجمال كتوقع مخادع للغة، يتطور بإغوائها، ويتقمّص حكمتها، ويغيب في حقيقتها العدمية من قبل أن يوجد.

كيف يمكن للمحقق أن يقيم طقس نهايته (بوصفه "زودياك"، قاتل متسلسل "لست مريضا وإنما أنا مجنون"، قصصه القصيرة التي يرسلها إلى الصحف رسائل من الرموز المشفرة التي تحوي هويته، ولكن ليس ثمة متعة سهلة في محاولة الإمساك به، لا يريد الذهاب إلى الجنة بعد الموت "يريد فردوسا شخصيًا أو خام الحياة الجديدة فحسب"، ولا يجمع العبيد من أجل العالم الأخر، بالرغم من اعتقاده بأن ما يكتبه "يقتله" قد يحرر الموتى "موتاه على الأقل" فعليًا): عشاء شهي .. لعب الورق .. سيجارة واحدة .. كأس بيرة واحدة .. بعض المكسرات .. موسيقى .. وعي يصير كليًا للحظة واحدة الفن الاستحواذي للذاكرة (الأشياء والأحاسيس وخيالات المشاهد)؛ دون شهود (يراقبونه في الخفاء)، أو خبراء الأسلحة (أداة القتل الحقيقية التي لن يُعثر عليها أبدًا)، أو خبراء المتفجرات (السبب الذي سيظل مجهولًا دائما وراء الأشلاء والأنقاض المتناثرة داخل جسد من "حدث كل شيء").

كان يمكن أن نكون مومسًا وديوثًا فحسب ...

ذات ليلة كنا نجلس مع أحد أصدقائنا أمام المحل، وكانت الساعة قد اقتربت من الثانية بعد منتصف الليل حينما أفضت الثرثرة الممازحة بيننا إلى الغناء على إيقاعات يدي صديقنا الذي حوّل كرسيًا فارغًا إلى طبلة .. لم يخطر في أذهاننا أنه تصرف غير لائق في هذا التوقيت، ولو كنا ندرك ذلك الأمر ما كنا سنعيره أدنى اهتمام .. فوجئنا به يخرج من شباك البيت المواجه للمحل، وعلى ملامحه أثر معركة مع نوم لم ينجح في إخضاعه ويصيح في وجوهنا .. في الحقيقة كان يخاطبنا بانفعال، ولكن لأننا أبناء متناكة يجب أن نقول أنه كان يصيح في وجوهنا .. كان يسألنا بغضب استنكاري إذا كان يصح ما نفعله الآن بينما الناس نائمين .. لو كان يوجّه هذا السؤال إلى أشخاص يحملون أقل قدر من التهذيب لانتبهوا على الفور إلى أن ما ارتكبوه كان حقًا سلوكًا بغيضًا؛ حيث أن الوقت متأخر، وهناك النائم، والمتعب الذي يحاول النوم، والمريض الذي يحتاج إلى الراحة، والطالب السهران الذي يريد المذاكرة في هدوء، ولتوجهوا إليه تلقائيًا باعتذار عن ضجيجهم اللامبالي مغلفًا بالخجل اللائق .. لكن لأننا ـ كما ذكرنا من قبل ـ أبناء متناكة فلم يكن يعنينا سوى جرأته غير المتوقعة في مخاطبتنا على هذا النحو خصوصًا أمام صديقنا .. ولأنه كان شابًا من أسرة محترمة، ومعروفًا بحسن الخلق، والانفصال التام عن دوائر العنف الأزلي للمنطقة الشعبية التي نسكنها وتهيمن عليها عائلاتنا منذ عشرات السنين؛ طلبنا منه بمنتهى العجرفة الدنيئة أن يعود إلى الداخل ويغلق شباكه كتهديد ضمني بأنه لو استمر وقوفه بهذا الشكل أمامنا أكثر من ذلك فإنه سينال عقابه .. أغلق الشباك بالفعل مكتفيًا بما اعتبره توبيخًا غير مباشر، ولكن لأننا أبناء متناكة لم يكن من الممكن أن نتعامل مع الأمر كأنه لم يكن .. ظللنا حتى الفجر نتحدث عنه بما ليس فيه، ولا يمكن أن يكون عليه، وبصوت مرتفع حتى يسمعنا استفزازًا لمزيد من غضبه، طامعين أن يكرر تهوّره، وحينئذ نلقّنه التأديب كاملًا .. فعلنا ذلك بالرغم من أننا مومس وديوث نتمتع بشهرة متأصلة، حيث لا يجب أن يتطاول علينا أحد مهما كان وبأي طريقة، وحتى لو لم يكن خطأنا موضع شك .. كان يمكن أن نكون مومسًا وديوثًا فحسب، ولكننا كنا مومسًا وديوثًا وضيعين أيضًا.

كان يعيش مع شقيقته الكبرى بعد موت أمه وأبيه، وكان من المنطقي أن يشعر بالندم على ما أصبح بالنسبة له مخاطرة متسرّعة وهو يغلق الشباك ويعود إلى سريره، ليس لأنه لم يكن محقًا في انفعاله ـ كان مريضًا بالأرق، وأوشك بعد صراع طويل ومُقبض مع النوم على ترويضه ثم تبددت غفوته الشاحبة فجأة في بدايتها بفعل غنائنا القميء، وهو ما كان يعني أنه لن ينام أبدًا في ليلة تحوّلت إلى واحدة من الليالي الجحيمية المعتادة، والتي يعقبها نهارات مدنسة بالمزاج الوحشي وألم الأعصاب ـ ولكن لأنه كان يعرف أننا المادة الخام للحقارة؛ إذ كان يكفي ما اقترفه من احتجاج، حتى لو كان بسيطًا ومبررًا، لكي يصبح مدموغًا بعداوتنا، محاصرًا بترصّدنا، مهددًا بثأرنا الذي يفتقر لأي ضمير .. كان يعرف أنه لن يكون وحده المستهدف من خستنا، وإنما شقيقته أيضًا وكذلك خطيبته التي تسكن في الدور الأرضي من البيت نفسه .. كان على حق بالتأكيد، وحتمًا أعطته الأكاذيب العفوية والافتراءات سهلة الارتجال التي أطلقتها أفواهنا النجسة نحو مسامعه بعدما أغلق الشباك دليلًا لا يقبل الشك على صحة ندمه .. كان يدرك أنه ليس أمامه سوى مواجهة وضاعتنا، الأمر الذي سيكلفه قطعًا ما لا يمكن أن يتحمّل خسارته؛ إذ أن الشيطان الخفي لغضبه، والذي لا يدري أحد عنه شيئًا، مهيأ تمامًا ـ لو اقتضى الأمر ذلك ـ

للوصول بسهولة إلى ذروة تدميرية يصعب السيطرة عليها، والقيام بما لا يمكن تصديقه أو تصوّره .. إما هذا أو أن يتوجّه إلينا بالاعتذار ويُنهي الأمر مبكرًا.

هذا ما فعله بالضبط في مساء اليوم التالي .. جاء إلى المحل وفي عينيه كراهية تكفي لإحراق العالم، وعلى شفتيه ابتسامة ودودة كأنما لم يسمع كلمة واحدة من الإهانات التي مررناها إليه عبر فتحات شباكه المغلق، ثم أبدى أسفه على ما ارتكبه، ونحن بدورنا ـ كمومس وديوث حقيرين ـ راعينا أنه شاب مسالم ومن عائلة طيبة ولم يُقدم على خطأ كهذا تجاهنا من قبل فسامحناه وعفونا عنه.

يا سيدتي ...

ليلى رستم: سيداتي سادتي تحية طيبة ولقاء مجدد مع "نجمك المفضل" .. ونجمنا الليلة شخص سيتحدث كإله يحتاج للنجاة من إنسانيته .. يريد أن يدافع عن وجوده ـ غير الإلهي ـ أو كـ "أنا" عمياء (ليس عماء البصر قطعًا) في مقابل الحياة والموت التي لا يمكنها السيطرة عليهما .. لذلك؛ فمساحة العماء الشخصية بكل ما تتضمنه من أوهام مؤقتة أو دائمة لابد أن تُستثمر لتتخطى نفسها .. لتصير حقيقة لا تقبل الإرجاء أو التعطيل ومن ثمّ تكتسب تعويضنا عادلًا من الأبدية المفترضة للسلطة التي تستعملها .. هكذا يكون لهذه الذات حق التعبير "الصحيح" دون غيرها عن المعنى والمنطق والقيمة والجدوى والابتكار واللغة والأسلوب والعمق والتوافق والدلالة والمتعة والإشباع .. يكون لهذه الذات الحق في أن تفرض خبرتها الخاصة ليس على الكتابة المتحققة ونقدها فحسب، بل على ما لم يُكتب بعد، وبالتالي على طريقة تناوله وتحليله؛ أي تصبح هذه الخبرة "رادعًا مقدسًا" يتقدّم على كل نص محتمل ونقده بخطوة تفاديًا لأخطاء الماضي، وهو ما يفسّر التكدّس المتواصل للأعمال الأدبية والنقدية المتناسخة .. لا يسمح خطاب هذه الذات بالكشف إلا عما تنحاز إليه، وهو بذلك يقيم الحواجز اللغوية التي تمنع ما يقاومه من التسلل إليها .. تعلن عن يقين، وتصمت عن ما يمكنه انتهاكه .. ترسّخ خبرة وتزيح علامات خلخلتها.

طه حسين: يسعدني يا سيدتي أن أكون واحدًا من الأسماء التي ستقود ذلك الخطاب النقدي المهيمن عبر التاريخ، والتي لم تمتلك (السلطة) إلا بفضل الأنساق المعرفية (المؤسسية) التي تكوّنت وتراكمت تدريجيًا من خلال آليات التنميط، ولم يعد لزمنها الخاص تعريفًا إلا بواسطة لامركزيتها، أي التناسل العشوائي لعلاقات القوة المتشابكة داخل أنظمتها المحكومة بالمفاهيم .. تُشكّل هذه الأنساق يا سيدتي منهجًا من القواعد التي تُخضع القراء بصورة عفوية لـ (بداهتها المطلقة)؛ حيث كل إدانة، أو كل إقرار للصواب أو الخطأ يمارسه القارئ سيستمد (شرعيته الجمالية) من هذا الوجود المعرفي الذي يمتد طغيانه كغرائز توجيهية وإرشادية تمثل (الحقيقة) .. "لماذا لا أفكر في أن هذا العمل الأدبي (سيئ) لأن الكاتب (لم يفعل) كذا أو كذا؟. لماذا لا أكتب أن هذا العمل الأدبي (رديء) لأن الكاتب (أخطأ) في هذا أو ذاك؟. لماذا لا أصدق أن هذه الاستجابة التلقائية في مقاربة الأعمال الأدبية حتمية، وصحيحة، ولا تحتمل الشك؟، أليس النقاد الذين (يظهرون في التليفزيون) ويدرّسون في الجامعات، ويصدرون الكتب، وينشرون أبحاثهم ومقالاتهم في الصحف والمجلات يقومون بذلك؟، أليس أولئك الذين يمتلكون (العلم) الذي لم نحصل عليه يتحدثون بهذه الطريقة؟" .. يسعدني يا سيدتي أن أكون الصوت المشترك بين الناقد والقارئ، أو بالأحرى الهوية الموحدة لهما، التي تم تشكيل وعيهما ـ التربوي ـ داخلها.

حقيبة مدرسية ...

عادل فتحي فؤاد عبد الجواد .. 45 سنة .. مدرّس تربية رياضية بمدرسة المنصورة الإعدادية بنين .. عُثر عليه مقتولًا داخل شقته في الدور الثاني بالعقار رقم (9) بحارة الخياري المتفرّعة من شارع محمد فريد في منطقة ميت حدر .. وُجدت جثته عارية تمامًا، وتحتوي على طعنات في العينين والأذنين وفتحة الشرج، كما قُطع أنفه ولسانه ويديه وأصابع قدميه فضلًا عن طعنة نافذة في القلب .. عُثر فوق بطن الجثة على أثر سائل منوي يُحتمل أن يكون للقاتل.

خالد جلال محمد الفيومي .. 45 سنة .. صاحب أعمال حرة في دولة الكويت .. عُثر عليه مقتولًا داخل الشقة نفسها بمنطقة ميت حدر .. وُجدت جثته عارية تمامًا، وتحتوي على طعنات في العينين والأذنين وفتحة الشرج، كما قُطع أنفه ولسانه ويديه وأصابع قدميه فضلًا عن طعنة نافذة في القلب .. عُثر فوق بطن الجثة على أثر سائل منوي يُحتمل أن يكون للقاتل.

وليد بدير السيد أبو العلا .. 45 سنة .. صاحب أعمال حرة في دولة الكويت .. عُثر عليه مقتولًا داخل الشقة نفسها بمنطقة ميت حدر .. وُجدت جثته عارية تمامًا، وتحتوي على طعنات في العينين والأذنين وفتحة الشرج، كما قُطع أنفه ولسانه ويديه وأصابع قدميه فضلًا عن طعنة نافذة في القلب .. عُثر فوق بطن الجثة على أثر سائل منوي يُحتمل أن يكون للقاتل.

تم اكتشاف رسم بالدماء (يُرجح أن يكون مزيجًا من دم القتلى الثلاثة) فوق حائط بغرفة المعيشة التي وُجدت الجثث داخلها، يصوّر حقيبة مدرسية كالتي يحملها تلاميذ المرحلة الابتدائية، وبجواره كتابة بالقلم الفحم لمقطع من إحدى قصائد بودلير:

هُنَاكَ ما هُوَ أكثرُ بشاعة، وفظاظة، وقذارة!

رغم أنّه لا يصدِر حركات واضحة ولا صرخات فادحة

وَيمكِنه أنْ يحِيل الأرْض إلى أطلال

ويبتلع فِي إحدى تثاؤباته الْعَالَم؛

إنّه الضّجر!

لم يُعثر على الملابس التي يُحتمل أن القتلى كانوا يرتدونها عند وقوع الجريمة، كما لم يُعثر على الأسلحة والأدوات المستخدمة في القتل والتقطيع داخل المنزل.

وُجد قناع كارتوني ملتصقًا بوجه القتيل الأول للكاتب "عبد الرحمن صدقي"، كما وُجد قناع كارتوني ملتصقًا بوجه القتيل الثاني للكاتب "عبد الرحمن بدوي"، كما وُجد أيضًا قناع كارتوني ملتصقًا بوجه القتيل الثالث للكاتب "يوسف السباعي".

الليالي البعيدة ...

أتنقل بين بيوت عائلتي يومًا بعد آخر .. أخرج معهم لنتجوّل ونجلس في الأماكن التي مر واستقر تاريخ العائلة داخل أطيافها: الشوارع .. أسطح البيوت .. المدن الساحلية والكوزموبوليتانية والقرى .. حجرات المكاتب في المنازل وخارجها .. المقاهي .. المحلات .. اللوكاندات والبنسيونات .. مقرات الأحزاب المتهدّمة .. الأندية الاجتماعية .. الحدائق .. المكتبات .. الكازينوهات .. محطات القطارات .. الكباري .. الأسواق .. يمنحونني الحكايات فتتفتح فورًا على مضاعفات لا نهائية من الأساطير التي تتجاوز ذلك التاريخ .. يطلعونني على الوثائق والصور والآثار القديمة التي تُسكرني بغرابتها الشاملة .. نمزج الذكريات الغامضة بالأسرار الكونية بالأحلام المنتشية التي تخلقها أحاديثنا وضحكاتنا وصمتنا عن الليالي البعيدة المجرّدة من الحدود لنصبح أرواحًا متجددة لها .. نغمس المخبوءات السحرية في ما يطيب لنا من طعام وشراب ودخان فتصير انطواءاتنا المتنقلة احتفالًا ممتدًا بالأشباح المتوالدة في ظلام الماضي .. أكون طفلًا عتيقًا، يمرح عبر الأزمنة، ويحلّق في مدى كل كينونة.

الشر والتصور المتغيّر عن جمال الشر ...

يرسم المحقق مخططًا إيضاحيًا للجريمة وأبعاد ومواقع كل ما يرتبط بشكل مباشر بها مستعيذا أحب كوابيسه الشخصية إليه .. إنه بروميثيوس يستمتع بإخماد الفهم لكي يراقص الغموض الذي يلتهمه .. لا تفكر في العلامات بوصفها عناصر طائشة لخلق وهم مسيطر بل إشارات تم إظهار تفكيكها على نحو مقصود .. رموز لشفرة غامضة لا يجدي معها إجراءات التقصّي التقليدية بل يجب التعامل معها بمنطقها .. بمسايرة هذيانها الظاهري .. أن تتبع بصمات ذلك الهذيان في أكثر البقع انقطاعا عن مسرح الجريمة، والتي لا علاقة لها بالجريمة ذاتها ولكنها تثبتها .. توطدها .. كأنك بذلك تعيد تشكيل شخصية القاتل الذي أوهم الكل أنه خرّب انسجام آثارها طمعا في إخفائها بينما ينظر المحقق إلى هذا التخريب كانسجام مضاد في حقيقته .. مرآة سحرية تعكس الصورة المخبوءة للقاتل .. لذا فحينما ينظر المحقق إلى تلك المرآة لابد أن يكون قادرا على امتلاك الذات القادرة على الوعي بهذا الانسجام المضاد في نفسها .. أن يكون نسخة من المزق المتآلفة التي تكوّن البنية النفسية للقاتل.

خلق المحقق من الإيروتيكا منهجًا نقديًا للمحو، التناص، إعادة كتابة النصوص وتعريفها، تحرير الحياة الشخصية كنص تفاعلي، كآلية مقاومة .. جعل من الأخطاء، اللااكتمال، الشذرات المتناثرة، عدم الانتباه، النسيان، الحماقة، التشوهات، الارتباك، التسويد، الشخبطة، التلعثم، الغفلة، التظاهر بالقوة والاتزان، اللهاث، الحشد، الهفوات، الإيماءات المرتعشة؛ جعل منها جماليات مضادة لاكتشاف الكتابة وإنتاجها دون استقرار أو تنظيم للتداول .. استعمل "مراوغة الإدراك" في تخريب الانضباط الدلالي لفلسفة "شوبنهاور" .. قام بتفكيك سلطة "القراءة" بوصفها اعتداءً ذاتيًا .. رصد "خدعة المشهدية" كطيش رمزي، صراع شبقي بين لاوعي العلامات معتمدًا على أقل العناصر البصرية للإيهام بالدراما في مقابل متن غائب أو نسخ لانهائية من الهوامش المجابهة لسادية النسق، وإطلاق الجموح الشهواني للفكر المتحايل على "المشهد" أو شطحات العنف الذهني الذي يخترق وعوده الشكلية المغدورة .. استخدم الثنايا والفجوات في التوصّل إلى كيفية انتهاك اللغة بوصفها لاهوتًا للشر .. استثمر الإقحامات المتنافرة والمتخاصمة داخل بنية الحكايات الشعبية في تقويض الحقائق المروّضة لتاريخها .. خلق من "الفانتازيا" إلزامًا بهدم ما يُعتقد أنها حدود الواقع التي تبقيه خارج عزلة الغرائبية .. جعل من "الكسل" طريقًا لنزع القيمة وإفساد ميزان الجودة وإتلاف مقياس التميز بين الفروقات، وبين ما يُغفل عنه وما يُنتبه إليه، وبين الجدوى وانعدامها .. فعل هذا كارتكابات مبهجة لمشروع دماغه الملعونة بالكتابة كحياة انتقامية، وتحويل العالم إلى نص هائل يُصاغ من التدوينات اللانهائية الشبقية الغاضبة .. نظريته العصابية في إفساد التناغم وتطبيقاتها في اللعب الفلسفي والمرح النقدي.

يردد المحقق: "جرائم القاتل هي طريقة هروبه، وليست ما ينبغي أن يهرب منه" .. يلتقط صورًا فوتوغرافية لمكان وقوع الجريمة بحثًا عن القرائن الأوديبية واختراقًا لها: يد أبيه اليمنى .. عينا أمه حين تخلع نظارتها ذات العدستين السميكتين .. الابتسامة المرتبكة التي نحتتها خفقات قلبه في ملامحه .. الاستمناء على موسيقى الجاز (نغمات بين ويبستر كثيرًا).

يجب ألا تخضع محاولة اكتشاف العلاقات المجهولة لأي قانون مطلق، بل ينبغي على المحقق تضليل الثقة الاستعلائية المتغافلة، وأن يتعامل مع الشرود والومضة الذهنية والذكرى المتنافرة كأدلة تقود إلى حل القضية .. أدوات القاتل التي تترسخ في جسد المحقق .. كأن تاريخ القاتل هو الروح السرية للمحقق .. بالتالي فإن الاختباء وراء الفروقات المخترعة سيكون طمسا للمتاهة التي تصل بالمحقق إلى القاتل، أي إلى نفسه.

يتفحص المحقق المنظر العام لمكان الجريمة كأنما يتأمل المدينة من أعلى شبابيكها .. بالنسبة له فإن للتحقيق الإجرامي تاريخ سري يمكن إدركه عند التوصل إلى الجهة الأصلية التي كلفته بمهمته، وهو الرجاء الذي يمثل السعي إلى تحقيقه هرطقة تستحق نوعية العقاب في القرون الوسطى: الحرق الباطني الذي لا تظهر علاماته فوق الجلد .. على أي حال فالمحقق لا يطارد الشر، بل يطارد التوهمات المحتملة للخير، أو بصيغة أخرى المكابدات الأزلية لعزل سرابه عن العالم .. إن الثنائية الحقيقية للحياة ليست الخير والشر، وإنما الشر والتصور المتغير عن جمال الشر .. يطارد المحقق التوهمات المحتملة للخير، وهو ما يشبه نزول ريتشارد كرينا من الهليكوبتر إلى القطار ليلا في فيلم un flic ولكن دون هليكوبتر أو قطار .. سماء وقضبان وليل فقط .. أحلام هاملت المزعجة مختلطة بفتات قشرة الجوزة.

استغلالاً لعدم الفهم ...

كان زميلاً لنا في الفصل الابتدائي، كما كان لعبتنا الأثيرة .. طفل "تربية بيوت" يسكن معنا في نفس المنطقة .. ساذج، غير عدائي، سليم النية، مهووس بصداقة كل من لا يعتبره إلا لعبته الأثيرة .. كان يتلجلج دائما ويحمر وجهه وأذنيه، ولم يكن قادرا على مجرد التفكير في معايرتنا بالمهانات اللاأخلاقية في عائلاتنا ردا على إهاناتنا ـ كأبناء متناكة ـ له .. كان مضحكًا بادعاءاته المستمرة لكل ما ليس فيه: المعرفة .. الخبث .. القوة .. الجدية .. الانسجام معنا كأشرار المدرسة أو المشاغبين مثلما يُطلق علينا الكبار، أو كأبناء المتناكة مثلما نصنّف أنفسنا .. كان دائم الإذلال لنفسه.

شد الشعر .. ضرب الرأس بالرأس .. الصفع على الخد .. الصفع على القفا .. ضرب الأذن بالإصبع السبابة .. ضرب الأذن بالإصبع الأوسط .. اللكم في الوجه .. ضرب الكوع في الصدر .. اللكم في البطن .. ضرب الخصية باليد أو بالركبة .. الصفع على المؤخرة .. ضرب القدم في المؤخرة .. دفع الرقبة باليد .. الخنق من الخلف .. الخنق من الأمام .. لوي الذراع أو الذراعين معًا خلف الظهر .. الخنق بالذراع مع الطرح أرضًا .. تثبيت الجسد في الأرض بالنوم أو بالجلوس فوقه .. دفع الكتف بالكتف .. الدفع في الظهر .. العرقلة .. مسح البصاق على الظهر .. الزنق الشديد بين ولدين في الدكة .. السخرية من الملامح .. السخرية من المظهر .. التهكم على الأفعال .. التهكم على الكلمات الحمقاء .. التهكم على الخجل .. السخرية من الارتباك .. السخرية من احمرار الوجه والأنين .. السخرية من العجز عن الكلام .. الإقعاد القسري على الحِجر .. الإقعاد غير القسري على الحِجر (استغلالاً لعدم الفهم) .. لطش ظهر الإصبع الأوسط للمؤخرة .. لطش ظهر الكف للمؤخرة .. الاحتضان من الخلف .. الاحتضان من الخلف مع إلصاق الحِجر بالمؤخرة .. الاحتضان من الخلف مع دفع الحِجر في المؤخرة بشكل متتابع.

حتمًا لا يمكنه نسيان كل ذلك .. لم تكن رؤيته لنا طوال الوقت داخل شوارع المنطقة ونحن نبتسم في وجهه باستهزاء بعدما تركنا المدرسة وكبرنا تذكره بحصص الألعاب التي كنا ـ كأبناء متناكة ـ نحضر خلالها كرتين؛ واحدة لنا والأخرى له كي يلعب بها وحده في ركن بالفناء، بعد أن ظلت الحجرة التي تحوي الكرات مغلقة لفترة طويلة مع غياب مدرّس التربية الرياضية، حتى نستمتع بلعب مباراياتنا دون أن يزعجنا برغبته في اللعب معنا، وكي لا نعطيه فرصة لأن يشكونا عند أمه المعلمة بالمدرسة .. لم تكن رؤيته لنا تذكره باللحظة التي كان يتجاهل فيها أحدنا يده الممدودة للمصافحة بعد إحراز هدف إذا ما سمحنا له أحيانًا باللعب معنا .. لم تكن رؤيته لنا تذكره باليوم الذي كان ولدان منا يذاكران معه في حجرة الصالون بمنزله؛ فأمسك أحدهما فجأة بذراعيه من الخلف ليشل حركته، بينما أنزل الآخر بنطلون بيجامته لأسفل، ثم راحا يضحكان ـ كوضيعين ـ وهو واقف أمامهما بالكلوت .. لم يكن يحتاج للتذكر، وإنما كانت رؤيته لنا طوال الوقت ونحن نبتسم في وجهه باستهزاء تلح عليه بأنه ليس أمامه سوى مواجهة وضاعتنا؛ الأمر الذي سيكلفه قطعًا ما لا يمكن أن يتحمّل خسارته؛ إذ أن الشيطان الخفي لغضبه، والذي لا يدري أحد عنه شيئًا، مهيّأ تمامًا ـ لو اقتضى الأمر ذلك ـ للوصول بسهولة إلى

نروة تدميرية يصعب السيطرة عليها، والقيام بما لا يمكن تصديقه أو تصوّره .. إما هذا أو يُبعد عينيه فورًا عن ابتساماتنا كلما صادف أي منا .. كانت حقارتنا دون شك عاملًا أساسيًا في نموّه.

تقليص الفرص ...

عبد الرحمن صدقي: نحن هنا في هذا البرنامج حتى نعطي السلطة المطلقة للقارئ (التي تتجاوز حدوده الذاتية لتصبح "حقيقة" عامة)، وهو بمثابة ترسيخ للأيديولوجيات والثقافات والمدارس الأدبية التي ربّت ذائقة القراء وحوّلتها إلى قوالب جامدة، مترصدة، رقابية وعقابية في الوقت ذاته.

عبد الرحمن بدوي: لا نجلس حول الدكتور طه حسين كأشخاص بل كأدوات تقييم هو سيدها .. كإقرار روتيني لعقيدة مثالية .. تعبير بديهي عن إرث مقدس .. نحن نوثق بصورة حتمية تصديقًا متجددًا لتاريخ هائل من التماثلات الداجنة للكتابة العربية التي تواصل خلق قرّائها (حرّاس القوانين والأعراف) عبر الأزمنة المختلفة .. القراء الذين تربّى داخل كل منهم كاتب أصلي يسبق أي عمل أدبي ليقيس من خلاله مدى خضوع الكتابة لهذا التاريخ، فإما أن تثبت طاعتها ـ بحسب الدرجات المتفاوتة ـ أو تُطرد خارج كرمها الإلهي الذي لا يبدأ بالمال فقط، ولا يمر بالترجمات والاحتفاء الإعلامي والتقدير الأكاديمي والنقدي فقط، ولا ينتهي بالإشارة الدائمة إليها كنسخة ضمن التكدسات المتشابهة فقط.

يوسف السباعي: "نجمك المفضل" هو من ضمن طقوس تقليص الفرص لأن يتوقف القارئ عن أن يكون نسخة من القراء الآخرين، أي أن يكون الكاتب بالنسبة له هو الشخص الذي عاش تاريخًا مختلفًا، لم يختبره هذا القارئ، وأن يكون (العمل الأدبي) هو أثر لهذا التاريخ، وبالتالي فإن كلمات مثل (رديء .. مقزز .. تافه .. ساذج .. سيئ .. سطحي .. قبيح .. خاطئ .. آثم) ليست أكثر من محاولة (القراء الآخرين) للثأر من هذا الأثر .. من اختلاف تاريخ كل منهم عن تاريخ الكاتب الذي أنتج هذا النص، حيث أن الرغبة في الثأر لا علاقة لها بالعمل الأدبي بل مرتبطة باحتياج صاحبها لرفض الآخر .. لإلغائه .. لعقابه على وجوده، وأن التجرّد من هذه الرغبة سيستبدل الكلمات الانتقامية السابقة بلغة أخرى تعبّر عن عدم القدرة على إنشاء علاقة مع النص، أو عدم الاقتناع بما يتضمنه هذا العمل، أو عدم التوافق، الانسجام، التفهم لما يبدو أن هذا الأثر يتبناه أو ينحاز إليه .. نعم هذا البرنامج هو طقس لتقليص تلك الفرص.

وجه رجل ملطّخ بخطوط سوداء ...

طارق عبد الكريم محمد صادق .. 44 سنة .. صاحب محل أحذية بشارع النقراشي في منطقة ميت حدر .. عُثر عليه مقتولًا داخل شقته في الدور الأول بالعقار رقم (3) بشارع بنك مصر في نهاية منطقة ميت حدر .. وُجدت جثته عارية تمامًا، وتحتوي على طعنات في العينين والأذنين وفتحة الشرج، كما قُطع أنفه ولسانه وأصابع يديه وقدميه فضلًا عن طعنة في القلب .. عُثر فوق بطن الجثة على أثر سائل منوي يُحتمل أن يكون للقاتل.

أحمد عبد الغفار محمود الحناوي .. 41 سنة .. سائق تاكسي .. عُثر عليه مقتولًا داخل الشقة نفسها بمنطقة ميت حدر .. وُجدت جثته عارية تمامًا، وتحتوي على طعنات في العينين والأذنين وفتحة الشرج، كما قُطع أنفه ولسانه وأصابع يديه وقدميه فضلًا عن طعنة في القلب .. عُثر فوق بطن الجثة على أثر سائل منوي يُحتمل أن يكون للقاتل.

تم اكتشاف رسم بالدماء (يُرجح أن يكون مزيجًا من دم القتيلين) فوق حائط بغرفة المعيشة التي وُجدت الجثتان داخله، يصوّر وجه رجل ملطّخ بخطوط سوداء، وبجواره كتابة بالقلم الفحم لمقطع من إحدى قصائد بودلير:

فوراء زينة الوجود الهائل، في السواد الأفدح للهاوية،

أرى بوضوح عوالم فريدة،

وببصيرتي الضحية المنتشية،

أجرجر خلفي ثعابين تقضم نعالي.

ومنذ ذلك الحين، وأنا، كالأنبياء،
أحب برقة الصحراء والبحر؛
وأنا أضحك في الجنازات وأبكي في الحفلات،
وأجد متعة عذبة في الخمر المرير؛
وكثيرًا ما أعتبر الحقائق أكاذيب،
وأهوي، فيما العينان شاخصتان في السماء، وفي الحُفر.
لكن الصوت يعزيني ويقول: "فلتحتفظ بأحلامك؛
فالحكماء لا يملكون أحلامًا بجمال أحلام المجانين!".

لم يُعثر على الملابس التي يُحتمل أن القتيلين كانا يرتديانها عند وقوع الجريمة، كما لم يُعثر على الأسلحة والأدوات المستخدمة في القتل والتقطيع داخل المنزل.

وُجد قناع كارتوني ملتصقًا بوجه القتيل الأول للكاتب "ثروت أباظة"، كما وُجد أيضًا قناع كارتوني ملتصقًا بوجه القتيل الثاني للكاتب "أمين يوسف غراب".

حديقة كبرى لملذاتنا ...

في كل مكان أمتلك شلة أصدقاء مختلفة أنا ملكها .. الكوكب الأعظم الذي يتنقل بنجوم الليالي بين اليخوت والقوارب والشواطئ والمطاعم والمقاهي وصالات الفنادق والبارات والنوادي الليلية .. بين طاولات القمار والحفلات والأفراح الشعبية .. بين سرائر المومسات، والمراهقات العاشقات برعاية أبائهن أحيانًا، والراقصات، والبرجوازيات، والفلاحات، والميلفات الحنونات، والموظفات، والطبيبات، والمحاميات، والمهندسات، وتاجرات المخدرات، وربات البيوت الصالحات، والعاملات، والحزبيات، والناشطات السياسيات والحقوقيات، وعائلات الجنس المحارمي، واللاتي نجمع بينهن داخل فيلات وشاليهات وشقق ومنازل ريفية وسيارات وقودها تنويعات شاملة من الموسيقى والغناء بهيمنة محكمة على المدن كافة .. نستحوذ على متع وأجساد نساء كل العصور، ونخضعها لألعابنا وحيلنا وتخيلاتنا الشهوانية الجامحة .. نجعل من العالم حديقة كبرى لملذاتنا، لا نتوقف عن تصوير أنفسنا داخل كل لحظة فيها، حيث تدور النغمات والإيقاعات الفاتنة في كل خلفية، كأنما نثبّت دائمًا عينًا منفصلة، تراقبنا وتؤكد استمتاعنا حين توثّقه، وتقبض به على جميع وسائل التواصل الاجتماعي على الإنترنت .. نخترع الأحداث والقصص المضحكة الهازئة طوال الوقت في الواقع، وكبدائل سافلة لكل الرصانة المأساوية في الأفلام والمسلسلات والأغاني دون أن تنشب بيننا أدنى ضغينة.

أن تكون نجمًا مفضلًا لفضاء عام كمنطقة شعبية ...

يحدد المحقق الجهات الأصلية بالنسبة لمكان الجريمة، ويعيّنها بالرسم، أي وفقًا للمسافات التي تفصلها عن "معبد الشمس" الذي عبره تان تان والقبطان هادوك والكلب ميلو ذات يوم ..
المحقق الذي لم يمتلك العالم السفلي للمدينة بأكثر من صورة "مارادونا" على حائط طفولته، والاختباء من سيارة الشرطة التي كانت تطارد المتسكعين على الكورنيش في ليالي المراهقة، والرغبة في رؤية العالم يحترق لحظة بعد أخرى مثل جوكر كريستوفر نولان.

في الأحوال العادية يتم إرجاع "التمثيل" بالجثة على هذا النحو إلى دوافع معيّنة: الانتقام في أقصى درجاته .. الهوس الاستحواذي بيقين متطلّب لذلك الفعل .. المتعة الناجمة عن أصل في الذاكرة .. يعرف المحقق أنه يماثل القاتل في إثبات شيء يتعرّض للتجاهل دائمًا.. يعرف أنه محق أخلاقيًا بشكل استثنائي كالقاتل تمامًا.

يقف المحقق في منتصف "ميت حدر" ويفكر في ما يربط القاتل بهذه المنطقة .. في ما يربطه ببيوت المدينة كمدار يلف المدن كافة .. الحكايات .. الذكريات .. الأسرار .. الأحلام .. ليالي الأماكن الشبحية .. يفكر في القاتل كطفل يمرح داخل ظلام لانهائي مكوّنًا وقته الخاص من ماضي كل كائن .. يبدو المحقق كما لو أنه ينتظر من سيصطحبه إلى نزهة ما.

يفكر المحقق في أنه لو قتل طفلته الآن فإن هذا يعني أنه سيلخص على نحو قاطع ما سيؤديه العالم تجاهها لو بقيت حية .. كل قاتل ينتقم من قتلة .. رمزيته تثأر من رمزيتهم .. كونيته مقابل كونيتهم.

ماذا يعني أن تكون نجمًا مفضلًا لفضاء عام كمنطقة شعبية مثلًا تحكمها أنماط العنف الشائعة؟
.. ذلك الاستفهام يحفّز المحقق على استخدام الرقم (7) مجددًا ـ الذي يتكرر في تاريخ ميلاده فأصبح يرمز إلى إعادة ولادته أو أبديته الخاصة ـ كشفرة أو رسالة سرية للاوعي داخل السرد: أن تزرع الخوف والرهبة في نفوس الآخرين منك .. (بدا كأنه لا يريد أن ينصرف، وأنه ينتظر شيئًا لا يعرف ما هو، ولا كيف يمكن أن يحدث) .. أن تجعلهم يحذَرونك .. (البقاء في البيت لن ينقذني من احتضارك وموتك يا أبي) .. أن تجبرهم على النظر إليك بود ومسالمة إذا لم ينجحوا في تفادي عينيك .. (كتبت القاصة العربية دون أن تخطئ في حرف واحد: عذرًا لأني مش معايا رصيد، ممكن تبعت رسالة للرقم ده في مصر وتقول له إن حبيبتك تنتظرك على الماسنجر، وإنك لو ما دخلت الشات الآن فإنها لن تأتي لزيارتك الأسبوع القادم كما وعدتك؟) .. أن تدفعهم لإخفاء مشاعرهم تجاهك .. (لكنه بكل تأكيد كان ملاكًا ناقصًا، فالقدرة على إنقاذه من هذا الجحيم كانت معطلة تمامًا) .. أن ترغمهم على تحذير من لا يعرفونك منك .. (هل كانت هناك وفرة من الأجزاء المكشوفة في جسد أمي وقت انهمار الصنانة عليها) .. أن تُكرههم على إدراك ما يغضبك مهما كان بسيطًا حتى لا يرتكبوه سهوًا .. (رأيت خطوط القلب تتحرك بين يديّ) .. أن تدفعهم لتذكير أنفسهم دائمًا بمشاهد عقابك حتى لا يتهاونوا في تجنب ما يقودهم إلى مثيلاتها .. (الموت جعل وجودك أقوى وأكثر رسوخًا) .. أن تجعلهم يعجبون بسلطتك وإن كرهوا شخصيتك وأفعالك وتمنوا الخلاص منك .. (حتى لو لم يكن بوسعك سوى الصمت أو الضحك أو البكاء كمتفرّج مدرّب جيدًا على ترويض السأم من العروض المتكررة) .. أن

تجبرهم على الحلم والسعي لامتلاك هيمنة مشابهة .. (ظل كل شيء عاديًا ومبهمًا لدرجة الخصاء يا عزيزي) .. أن تدفعهم للشعور بالهيبة إذا ما حصلوا على أي إشارة مهما كانت واهية إلى رضائك عنهم.

هل للقاتل نظرة أنتوني بيركنز في "سايكو"، أم آل باتشينو في "الأب الروحي"، أم روديون راسكولينكوف في "الجريمة والعقاب" أم مزيج بينها؟ .. هل كان في طفولته يخاف الظلام، القطارات، ومن وجود فراغ خلفه حين يجلس في البيت وحيدًا آخر الليل؟ .. هل يضيف خياله لمشهد القتل عند تنفيذه اللون الأزرق استدعاءً للبرد، الضباب للتيه، الدخان للاحتراق النفسي؟ .. هل يعرف ما الذي قتل دوناتو بيلانشا سفاح إيطاليا، مويسيس إسكاميلا سفاح المكسيك، بيتر سوتكليف سفاح بريطانيا قبل أن يقتلهم كورونا؟.

لم يبادر المحقق بفعل أمر سيء .. لم يبادر المحقق بفعل أمر سيء .. لم يبادر المحقق بفعل أمر سيء .. أحيانًا يجب على القاتل أن يجبر المقتول على فعل شيء رهيب في جسده قبل القتل كي يضمن عدم انفجاره .. عدم انفجار القاتل .. لماذا كلما تذكّر المحقق رائحة الريحان الذي كان يزرعه في شرفة طفولته تحدث جريمة قتل، حتى أن تلك الرائحة تفوح دائمًا داخل مسرح كل جريمة يتوجه إليه؟ .. المخلوقات ضحايا، وجرائمهم فقط هي انتصاراتهم على تلك الصفة.

مزيد من الناس ومزيد من الضوء ...

كان يقف معنا في نهاية أحد المساءات لأنه كان يريد أن يكون صديقًا لنا كأولاد يجسدون الروح الاندفاعية الخبيثة للحي الشعبي الذي يجاورنا السكن فيه .. أن يمتلك حيواتنا .. كان يريد إخضاعنا، ولم يكن يعني ذلك سوى أن يُسايرنا بقدر من التبعية الغافلة والاستسلام الأعمى أملًا في أن تحصد الثقة الطفولية التي يضعها بين أسناننا الحادة سيطرة كاملة على عالمنا في النهاية .. كنا نسمح له بالوقوف معنا لأننا كنا نريد أن نتسلى .. أن نحصل على تعويض .. أن ننتقم من كل ما ليس له علاقة به .. لم يكن غريبًا ـ كأبناء متناكة ـ أن نتفق على دعوته لتلك اللعبة التي تحمّس بمنتهى السعادة على مشاركتنا فيها ظنًا منه أنها دليل دامغ على أنه بالفعل واحد منا .. وبالرغم من أنك لو أخبرت أي أحد مهما كانت سذاجته بفكرة تلك اللعبة لأدرك على الفور أنها مكيدة، أو على الأقل لساوره الشك في أنها تنطوي على سر غير طبيعي .. لكنه وافق متلهفًا وسط ضحكاتنا المكتومة على الوقوف معنا في شكل دائرة حيث يقوم كل ولد منا بتمرير إصبعه فوق وجه الآخر على نحو متتابع .. كان يبدو أنه أداء سخيف وبلا معنى، ومع ذلك استمر في تمرير إصبعه فوق وجه الواقف على يساره بعدما ينتهي الواقف على يمينه من تمرير إصبعه فوق وجهه .. بعد دورات عدة من هذا الفعل المتكرر قررنا أن اللعبة قد انتهت بينما تضاعفت سعادته نتيجة لتلك المشاركة التي اعتبرها ترسيخًا لانتمائه إلى الشارع وتوحّده بالجوهر العابث والمتحرر لأبنائه .. لم نستطع أن نكتم ضحكاتنا أكثر من ذلك فانفجرت من أفواهنا بصورة قوية ومتلاحقة دون أن يحفّز ذلك في نفسه أدنى ارتياب؛ إذ بدت له تلك الضحكات تعبيرًا عن سعادتنا المماثلة بتلك اللعبة أو تجاوبًا مع عمق كوميدي غامض لها، ربما سينجح في استيعابه فيما بعد دون إثارة سخريتنا بالتساؤل المباشر عنه.

لكن ظهر فجأة فوق ملامحه المبتسمة طيف باهت من التوجس .. مسحة قلق أطفأت قليلًا من الوهج الممتن في عينيه .. حاول تلقائيًا التخلص من شبح الانزعاج الذي بدأ يحوم في رأسه، والتشبث باللذة التي تتسرّب من وجدانه بإطلاق صيحات مصطنعة، شبيهة بتلك التي يصدرها أطفال الشارع دون مناسبة كنوع من استعراض الجموح والصلابة واللامبالاة .. كان هذا كرمًا منه أكبر مما كنا نتوقع، وهو ما كاد يقتلنا حقًا .. شعرنا بالضحكات تمزق صدورنا وتحرق عيوننا وتدور برؤوسنا في ترنّح غير مصدّق .. واحد منا كان لا يزال محتفظًا بقدر من التماسك حاول أن يُكمل الخطوة الأخيرة من اتفاقنا ـ كأبناء متناكة ـ فاقترح عليه أن يرافقنا للخروج من تلك البقعة غير المضاءة جيدًا والتي نادرًا ما يمر منها عابر في هذا الوقت نحو حيز أكثر ازدحامًا وسطوعًا .. بدأ يتحرك معنا في حين كنا قد وصلنا إلى مرحلة الشعور بالاحتضار بسبب ضيق التنفس الناجم عن ذلك الضحك الخارق، حتى أن أحدنا ظل واضعًا يده على قلبه بعدما أحس أنه على وشك التوقف، فضلًا عن وجع البطون الذي أصابنا جميعًا والدموع التي انهمرت من عيوننا بغزارة .. وجدناه يتوقف فجأة ويسألنا متجهمًا إذا كان ثمة شيء على وجهه .. احتاج إلى كل هذا الزمن وكل هذه الضحكات حتى يسألنا ذلك السؤال الذي مازالت نبرته تؤكد انتظار الحصول على إجابة .. رد عليه أحدنا ـ وكان إنهاك الضحك قد اقترب بنا إلى ما يشبه إغماء جماعيًا ـ بأنه لا يوجد على وجهه أي شيء، وأن عليه فقط مواصلة المشي معنا إلى حيث مزيد من الناس، ومزيد من الضوء .. انسحب من بيننا سريعًا عائدًا إلى بيته وهو يغطي وجهه بكفيه بينما نتابعه ـ كأبناء متناكة ـ بآخر ما بقي لدينا من ضحكات.

دخل إلى بيته، ولحسن الحظ كانت الصالة خالية ومظلمة إلا من النور الهزيل للوناسة، ولم يلحظ من فتح له الباب تعمّده إخفاء وجهه .. توجه فورًا إلى الحمام بقدمين مرتعشتين وأغلق الباب ورائه .. في المرآة رأى الخطوط السوداء المتعرّجة والمتشابكة التي حفرها الإصبع المدهون بالسخام فوق ملامحه .. شعر بالغصة الثقيلة للبكاء تذبحه .. بدأ يغسل وجهه بينما دقات قلبه تتسارع بقوة وجسده يرتجف تحت وطأة الغليان المتصاعد لدمائه .. كان أثناء محاولته إزالة أثر السخام يشعر بأنه يغرز أصابعه داخل جروح طعنات نارية بالغة العمق تتناثر عشوائيًا وراء جلده .. بعدما انتهى من تجفيف وجهه خرج من الحمام وهو يفكر في أننا كنا وضيعين إلى حد رغبتنا في اقتياده بذلك الوجه الملوّث بالمهانة إلى حيث يمكن للناس في الشوارع رؤيته بوضوح تام ومن ثمّ يتسع نطاق الحفل نحو آماد أكثر إذلالًا .. لم يكن يصدّق ما حدث .. لم يكن يستوعب أننا فعلنا به ذلك، وأننا كنا على استعداد لارتكاب ما هو أفظع .. كان يدرك أنه ليس أمامه سوى مواجهة وضاعتنا؛ الأمر الذي سيكلفه قطعًا ما لا يمكن أن يتحمّل خسارته؛ إذ أن الشيطان الخفي لغضبه، والذي لا يدري أحد شيئًا عنه، مهيأ تمامًا ـ لو اقتضى الأمر ذلك ـ للوصول بسهولة إلى ذروة تدميرية يصعب السيطرة عليها، والقيام بما لا يمكن تصديقه أو تصوّره .. إما هذا أو يخرج إلينا ثانية من أجل استدراك شكلي الأمر .. معالجة ظاهرية تتعامل مع تلك اللحظات من الماضي باعتبارها وهمًا .. كان يدرك تمامًا أن ذلك سيجعل ما أصابه أكثر فداحة ولكنه لم يكن من الممكن أن يترك تلك الليلة تنتهي على هذا النحو.

غادر البيت بالفعل ثانية رغم شعوره بالدوار ثم توجّه إلى حيث كنا نقف فلم يجد أيًا منا .. كنا قد عدنا إلى بيوتنا بشبع ناقص نتيجة انسحابه قبل أن ننجح في جرّه نحو الزحام .. فوجئ أحدنا به ينادي عليه من أسفل الشرفة .. خرج إليه فوجده قد غسل وجهه جيدًا .. سأله بعينين يتراقص فيهما الغرور، وابتسامة تطفح بالمكر الشامت عما يريده .. أجابه الولد بأنه لا يريد سوى الاستفسار حول موعد اللقاء في الغد .. نعم، كان يسأله عن وقت اجتماعه بنا مرة أخرى كأن شيئًا لم يحدث .. كأننا أصدقاء حقيقيون، لم نمارس ضده أي نوع من الإيذاء .. رد عليه هذا الواحد منا بنشوة الهيبة محددًا الموعد والمكان .. فعل ذلك كأنما يُلقي دون اكتراث أمرًا على تابع هش أتاه ليجدد ولاءه ورضوخه .. انصرف الولد من أسفل الشرفة لكنه لم يحضر في الوقت المحدد .. لم يحضر في أي وقت آخر .. هكذا خسرت حقارتنا أحد أهم زبائنها.

ممارسة لغوية عدائية ...

ثروت أباظة: يعمل الخطاب الذي يحققه وجودنا في ضيافة الدكتور طه حسين كآلية ضبط وعقاب؛ إذ لابد أن يكون ما يراه القارئ من عدم وجود معطيات كافية، أو تسلسل منطقي للأحداث، أو تفسيرات عقلية مقبولة للتحولات أو الانتقالات المفاجئة، أو تبريرات حاسمة لدوافع الشخصيات وسلوكياتها، أو التزام بالمسارات الأساسية المتناغمة للسرد، أو التوافق بين اللغة ووعي الشخصيات وطبيعة الأماكن، أو الحصول على نهاية مشبعة تنسجم مع السياق الروائي؛ لابد أن يكون هذا أمرًا مُسيئًا للعمل الأدبي يتوجب مواجهته، كما لابد ألا يكون هذا حُكمًا شخصيًا لهذا القارئ بل يجب أن يكون حُكمًا عامًا لجميع القراء، وهو بهذا التعميم القسري لا يحاول ضبط "الطريقة" التي تبناها الكاتب في هذا العمل، وعقابه على استخدامها؛ وإنما يقوم بتصحيح جزائي لفساد الصلة أو انقطاعها بين هذا الكاتب والمبادئ الشاملة للحياة التي أكدها تراث إلهي مُلزم، وهو بمثابة الضلال الذي دفعه للكتابة بهذه الطريقة "الخاطئة".

أمين يوسف غراب: كل "ممارسة لغوية عدائية" تستوحى أو تؤخذ من هذه الحلقة التليفزيونية من الممكن أن ينجم عنها سياقات لانهائية من ظواهر "القهر الاستباقي" التي تستمد طاقتها البلاغية من الممارسة نفسها .. من الضروري أيضًا الانتباه إلى أن هذه الانتقادات دائمة الاستهداف للنص الأدبي لا تنفصل عن تلك المجابهة للمتون النقدية حيث تتخذ هذه المآخذ أنساقًا لغوية تستوعب هذا التمايز بين "الكتابة" و"النقد" دون أن تتخلى عن شروطها المعرفية .. لذا فالعداء البلاغي - كسلطة للقهر الاستباقي - ليس كاتبًا أصليًا فحسب، بل ناقدًا أصليًا أيضًا.

شريط فيديو معلّق في شباك مغلق ...

محمود محمد محمود سالم .. 45 سنة .. صاحب أعمال حرة في دولة الكويت .. عُثر عليه مقتولًا داخل شقته بشارع النقراشي في منطقة ميت حدر .. وُجدت جثته عارية تمامًا، وتحتوي على طعنات في العينين والأذنين وفتحة الشرج، كما قُطع أنفه ولسانه وأصابع يديه وقدميه فضلًا عن طعنة في القلب .. عُثر فوق بطن الجثة على أثر سائل منوي يُحتمل أن يكون للقاتل.

محمد سمير ياسين المهدي .. 46 سنة .. عاطل .. عُثر عليه مقتولًا داخل الشقة نفسها بمنطقة ميت حدر .. وُجدت جثته عارية تمامًا، وتحتوي على طعنات في العينين والأذنين وفتحة الشرج، كما قُطع أنفه ولسانه وأصابع يديه وقدميه فضلًا عن طعنة في القلب .. عُثر فوق بطن الجثة على أثر سائل منوي يُحتمل أن يكون للقاتل.

محمد قاعود حسين غالي .. 47 سنة .. صاحب ورشة سيارات بمنطقة الحسينية .. عُثر عليه مقتولًا داخل الشقة نفسها بمنطقة ميت حدر .. وُجدت جثته عارية تمامًا، وتحتوي على طعنات في العينين والأذنين وفتحة الشرج، كما قُطع أنفه ولسانه وأصابع يديه وقدميه فضلًا عن طعنة في القلب .. عُثر فوق بطن الجثة على أثر سائل منوي يُحتمل أن يكون للقاتل.

تم اكتشاف رسم بالدماء (يُرجح أن يكون مزيجًا من دم القتلى الثلاثة) فوق حائط بغرفة المعيشة التي وُجدت الجثث داخلها، يصوّر شريط فيديو معلّق في شباك مغلق، وبجواره كتابة بالقلم الفحم لمقطع من إحدى قصائد بودلير:

أما أنا، فروحي مشروخة، وفي ضجرها

تريد أن تملأ بأغانيها هواء الليالي البارد،

وكثيرًا ما يشبه صوتها الواهي

الحشرجة العميقة لجريح منسي

على حافة بركة دم، تحت كومة كبيرة من الموتى،

ويموت، بلا حراك، في عناء هائل.

لم يُعثر على الملابس التي يُحتمل أن القتلى كانوا يرتدونها عند وقوع الجريمة، كما لم يُعثر على الأسلحة والأدوات المستخدمة في القتل والتقطيع داخل المنزل.

وُجد قناع كارتوني ملتصقًا بوجه القتيل الأول للكاتب "عبد الرحمن الشرقاوي"، كما وُجد قناع كارتوني ملتصقًا بوجه القتيل الثاني للكاتب "نجيب محفوظ" كما وُجد أيضًا قناع كارتوني ملتصقًا بوجه القتيل الثالث للكاتب "محمود أمين العالم".

كمن يعيشون نسختهم الخاصة من ألف ليلة وليلة ...

أسكن في منطقة شعبية أشبه بدائرة صغيرة مغلقة من البيوت والدكاكين القديمة .. أقود مجموعة من مغامرين ذوي أعمار مختلفة يعيشون معي في نفس المكان لتتبع الأسرار الكونية الخارقة التي تكمن في عتمتها، وتتناثر في كل لحظة من ماضي المدينة .. نراقب أثناء المطر والإضاءة الخافتة جلسات تحضير الأرواح، وطقوس السحر، ولقاءات الجماعات السرية من سلالات المعتنقين لعقائد غامضة تنتمي لأزمنة سحيقة داخل منازل تلك المنطقة .. نستخدم ذخيرة حميمية من الوثائق والمخطوطات والكتب والأوراق والصور والخرائط ودفاتر الملاحظات والهواتف والأجهزة المتصلة بالإنترنت في اقتفاء أثر العوالم المجهولة المستترة تحت بيوتها وأزقتها، المؤدية إلى ما وراء الزمن .. نرصد الأصوات والإشارات المنبعثة من أسفل الأرض وخلف جدران المساكن العتيقة والخلاءات المهجورة التي ترسلها المخلوقات الغريبة المتوارية في أبعاد كونية مبهمة، وكذلك الأشكال والأضواء الملغزة التي تحوم فوق حجرات الأسطح آخر الليل .. نلتقط عبر راديو قديم متنقل الموجات الأثيرية التي تتواصل من خلالها تلك المخلوقات مع غيرها من الموجودات الخفية الأخرى مثل الجان والفضائيين والكائنات الأسطورية، وننصت إلى خططها وتحركاتها المثيرة، مشيدين جسورا بينها وبين تاريخ الأدب البوليسي وأدب الرعب والخيال العلمي .. نجوب البيوت والدكاكين، ونجلس داخل المقهى الذي يتوسط المنطقة، ونتأمل أنفسنا بين أهلها كمن يعيشون نسختهم الخاصة من ألف ليلة وليلة.

مكافحة النار بالنار ...

يصوّر الرسم التخطيطي للمحقق مكان الجريمة: المنظر العام لمحل وقوعها، وما يحيط بها من أبنية، والطرق المؤدية إليه كأنما يبصق في حقيبة "خيال رخيص" أو يضاجع بائعات الهوى اللاتي قتلهن ساموبل ليتل.

موقع الجريمة: النقطة التي وقعت بها الجريمة ومحتوياتها ومكان العثور على الجثة، فضلًا عن الجدران والشبابيك والأبواب والأسرّة والدواليب والبقع الدموية .. يفكر المحقق في أن الأسباب المحددة للتنكيل بالجثة لا يجب أن تفرض عليه التحرك في مسارات منفصلة باعتبار أن لكل سبب استقلاليته الصارمة، وإنما عليه التعامل مع تلك الأسباب باعتبارها مزيجًا غائمًا من الاحتمالات المتشابكة .. صحيح أنه من الممكن الكشف في النهاية عن وقوف سبب واحد فقط وراء القتل، ولكن ذلك الكشف لن يتحقق إلا عبر التوغل في كل الدوافع ، فضلًا عن اعتقاد المحقق أن دوافع التمثيل بالجثث تنطوي كل منها داخل الأخرى، وأن التشريح الدقيق لـ "خيال الجريمة" يستطيع أن يكشف هذا.

عقل المحقق أشبه براديو تعبث يد مجهولة بمحطاته: (في الواقع ربما يكون الجزء الخاص بالسيدة نون وعلاقة البطل المعقدة و اليائسة معها قد راقني بالفعل، إلا أن كم التشوهات والانحرافات التي طفحت بها باقي الأجزاء قد غطت عليه للأسف) .. ارتباك الجالسين في حضرة الدكتور الموبّخ .. الإله الذي يؤدب الأنبياء وهم في طريقهم للألوهة .. (ما أعنيه بالتشوهات والانحرافات هنا هو الوصف التفصيلي المقزز لممارسات مريضة وشاذة) .. الرمز، صاحب السلطة التطهيرية للمثقف المقاوم لما سيطلق عليه بمجانية مرتعدة "ركاكة ـ ابتذال ـ انحطاط ـ سطحية ـ سوقية ـ شذوذ ـ باطل" في مقابل مقاييس فرض الوصايا والرقابة البلاغية على الكتابة ومحاكمتها "القواعد ـ المفاهيم ـ التقاليد ـ الأعراف ـ الشرعية ـ التنوير ـ الحقيقي" .. (واستخدام المصطلحات العامية شديدة الفجاجة و البذاءة).. من أجل تبرير إقصاء الكاتب وتهميشه وتحجيم دوره في انتهاك القيم والمحرمات .. في تحدي المكرّس والمتأصل والهش في الوقت نفسه .. (والتشويه البشع لصورة الأب و الأم).. تماسك المرويات الرسمية وآلهتها الذين يلقب كل منهم بـ "الظاهرة"، في حين أن من يلقبون هؤلاء الكتّاب، أو يعتبرونهم كذلك فائضون بالفراغ والتزمت والعجز، الذين لا يدركون أن ما يصنع "الظاهرة" تاريخ من العوامل السلطوية الثقافية والاجتماعية "ليست السياسية المباشرة فقط كما يتصوّر السذج" التي تفاضل وتصنّف وتفرز، لا الكتابة نفسها .. (مع هوس مفرط بالجنس يصل لدرجة الاستشهاد بنجمات البورن مع ذكر أهم مواقعهن وأفلامهن و مشاهدهن!) .. الالتزام .. إهمال وتجاهل من هم خارج المجمّع المقدس .. (يمكنني التدليل على ما أقصد بذكر أي اقتباس مما يذخر به هذا الجزء من الرواية، لكنني بدلًا من ذلك – ولعدم رغبتي في الإسهام في نشر هذا الفحش وتلك البذاءة - سألجأ للاقتباس مما ذكره الكاتب على لسان الشخصية التي تمثله في الرواية – وهو ما لن يخلو من بعض الألفاظ الخارجة التي لن يمكن اقتطاعها من السياق للأسف) .. الأصالة .. (يبقى تعليق أخير لي عما أراه إيجابيًا بشأن هذه الرواية، وهو أنه لم يقرأها أحد... تقريبًا!) .. الأدباء والنقاد والمفكرون والمثقفون والقرّاء كتائب أمنية ودينية لفرض الامتثال القانوني والأخلاقي للكتابة .. لهذا ينعم الكتّاب اللاعبون في المضمون، والذين لا يتحدون السائد، ولا

يجابهون أي سلطة بمزايا المهادنة الجماعية .. (فالرواية الصادرة من شهر ابريل الماضي ليس لها إلا تقييم واحد بخلافي على موقع الجودريدز وهو ما أراه مؤشرًا مطمئنًا إلى حد ما) .. محاكمة الدكتور التي برأته كانت سببًا في محاكمة وعقاب لاحقين له، ذلك لأن الدكتور نفسه لم يحاول قتل فكرة الرقابة من الأساس ـ التي يستمتع بممارستها شخصيًا ـ والجزاءات الناجمة عنها ومن ضمنها المحاكمات القضائية .. (فكما انتقدت من قبل أذواق القراء الذين يرفعون من أسهم روايات أراها لا تستحق إلى عنان السماء) .. "عميد الأدب العربي" الذي يحدد ويفصل ما هو الأدب وما هي اللغة الأدبية، من هو الكاتب ومن ليس كاتبًا، وبالتالي ما يجب أن يكون موضع الاهتمام القرائي والاحتفاء النقدي ومن يجب أن يُنبذ ويُعاقب .. كان الدكتور نفسه جزءً من الادعاء بما قام به بعد المحاكمة وما لم يقم به .. استغل عدم تجريمه في ممارسه دوره القضائي على الكتابة والفكر الذي يدعم السلطة الرقابية بمعناها الواسع، ويتضمن كل سبل الردع والعقاب الثقافي .. (أرى واجبًا الإشادة بإعراضهم عن مثل هذا الغثاء الذي قرأته بدافع الفضول البحت!).. العنجهية الجوفاء المريضة التي ترشد وتطوّع وتكافئ وتعاقب.

يتولد لدى المحقق انطباع بأن القاتل تُنتهك كرامته .. انتهاك الكرامة ليس مجازًا، ولكنه واقع متعدد الأشكال .. اعتداءات متماثلة، متداخلة، أكثر عنفًا مما تبدو عليه .. مأساة تتخطى حياة ومصير القاتل إلى حكاية العالم نفسها .. مشيئة تمر عبر جسد القاتل وتمزقه في اندفاعها البطئ منذ ما قبل الحياة، نحو ما بعد الموت .. كأن القاتل يفكك هذه المشيئة من خلال أجساد القتلى .. يصنع لوحة تعبيرية لكل عنصر من مكوناتها بواسطة الجثة التي تتلاءم معه.

تتحوّل المشاعر والأحاسيس والانطباعات في عقل المحقق إلى طوفان من التداعيات المدوّخة التي تتجمّد فجأة كشرخ هائل في الفراغ يرى فيه القاتل كأنما يضاجع المدينة من خلال منطقة "ميت حدر" .. يضاجع المدن كلها من خلال هذه المدينة .. المضاجعة التي تعني الاستمتاع بكل ليلة ومكان وجسد .. الانتشاء بكل نغمة وإيقاع ولعبة وحيلة وخيال وقصة .. كأنما المحقق بهذا التحديق في الظل المعتم للقاتل يرى شهوته هو .. الشبق الجامح للمحقق الذي لم يهيمن إلا على فنانه.

جسم الجريمة: مكافحة النار بالنار.

ويحلم أحلامًا سعيدة ...

كان قد استعار من أحد أصدقائه شريطًا جنسيًا، وفي تلك الفترة بدأ في محاولة التقرّب منا بواسطة أحد رفاق الدراسة الذين يسكنون المنطقة وتربطه بنا علاقة قوية بالرغم من أنه لم يكن مثلنا تمامًا، ولكنه كان يمتلك ما يكفي من الدهاء والجرأة .. كان يستغل وقوف رفيقه في المرحلتين الابتدائية والإعدادية معنا عند ناصية الشارع لكي يأتي وينضم إلينا بحجة التحدث معه أملًا في أن يؤدي ذلك إلى تعارفه بنا والحصول على صداقتنا .. كنا سفاحي المنطقة .. أبطال عالم المخدرات والمومسات والبلطجة .. كان يريد أن يكون جزءًا من هذا العالم، أي يستقر في هامشه الأكثر أمانًا بما يتيح له امتلاكه كليًا .. جعلناه ـ كأبناء متناكة ـ يشعر بأنه نجح في ذلك أو أصبح قريبًا منه إلى حد ما .. أعطيناه ذلك الإحساس المزيف لأننا ـ كما تعوّدنا ـ لن نحرم أنفسنا من شيء مجاني يمكن الاستفادة منه ولو بأبسط الأشكال .. ولو بالضحك.

لم يمر وقت طويل بالفعل حتى حدثنا عن ذلك الشريط الذي يخبئه في بيته .. لم يكن ذلك طبعًا سوى عربون صداقتنا التي يطمح إليها .. طلبنا منه أن يحضر الشريط حتى نشاهده في منزل أحدنا .. ذهب وعاد بالشريط مزهوًا بما تصوّره دليلًا على قبولنا له في جماعتنا الإجرامية .. أخذنا منه الشريط وتركناه يعود إلى بيته لينام ويحلم أحلامًا سعيدة.

في اليوم التالي أعاد إليه رفيق الدراسة الشريط، وفي مساء نفس اليوم اكتشف الذيل الذي ألصقناه بظهره .. كان قد أرجع الشريط إلى صاحبه الذي لم يستغرق وقتًا طويلًا حتى اتصل به وأخبره أن الفيلم ليس موجودًا، وأن الشريط يحوي بدلًا منه نسخة من مسرحية "شاهد ماشفش حاجة" .. أسرع إلى بيت صديقه مرة أخرى، وأخذ منه الشريط معتذرًا، وبوعد أنه سيحل تلك المشكلة في أقرب وقت.

ذهب إلى رفيق الدراسة ليسأله عما حدث بالأمس فأجابه بأنه لا يعلم شيئًا، وأنه تركنا بعدما أصبح الشريط في حوزتنا، ولم يتوجّه معنا لمشاهدة الفيلم، ثم مر أحدنا على بيته في الصباح وأعطاه الشريط حتى يعيده إليه .. طلب من رفيق الدراسة أن يأتي معه إلينا، وكنا في انتظاره عند نفس المكان الذي اعتدنا التجمع فيه كل ليلة .. كان وجهه محتقنًا بالمهانة والغضب بينما استقبلناه ـ كأبناء متناكة ـ بابتسامات متفاخرة .. ظلت نظرته المختلة تتنقل بين وجوهنا في صمت ورفيق الدراسة يسألنا عما حدث .. أجبناه ببرود ملتذ بأنه يعرف جيدًا ماذا حدث .. في تلك اللحظة استوعب الطول الحقيقي للذيل الذي ألصقناه بظهره .. عرف أن رفيق الدراسة كان كاذبًا، وأنه كان معنا أثناء مشاهدة الفيلم، وأنه شاركنا ـ كأبناء متناكة ـ في فك الشريط وتبديل البكرة بأخرى.

بعينين تكاد الدموع تنفلت منهما، وبصوت مبحوح، وأنفاس مرتعشة طلب منا إعادة الفيلم لأنه ليس ملكًا له .. أخبره أحدنا بأنه ليس لدينا مانع من ذلك، وأن عليه فقط أن يحضر الشريط ثانية، حتى نأخذه معنا ثم نعيده إليه بالبكرة الأصلية غدًا .. ذهب إلى منزله بالفعل ورجع بالشريط فأخذناه وانصرفنا تاركين جسده مفتتًا بالإذلال .. لم يتكلم مع رفيق الدراسة كلمة واحدة .. ابتسم فقط في وجهه كشخص يطيب له الآن ذبح نفسه ثم رجع إلى البيت.

في مساء اليوم التالي جاء إلينا وسألنا عن الفيلم فأجبناه بأنه لن يحصل على أي شيء ولو مجرد شريط فارغ .. كنا فائضين بالوضاعة لدرجة أن نخبره بضحكات تهديدية منتشية بأننا أخذنا منه الشريط تأديبًا له بعدما طالبنا بإرجاع الفيلم .. كان يدرك أنه ليس أمامه سوى مواجهة وضاعتنا؛ الأمر الذي سيكلفه قطعًا ما لا يمكن أن يتحمّل خسارته؛ إذ أن الشيطان الخفي لغضبه، والذي لا يدري أحد شيئًا عنه، مهيّأ تمامًا ـ لو اقتضى الأمر ذلك ـ للوصول بسهولة إلى ذروة تدميرية يصعب السيطرة عليها، والقيام بما لا يمكن تصديقه أو تصوّره .. إما هذا أو يضحك ولكن على نحو مصطنع كما لو أنه آخر ما يجب أن يفعله بعدما أصبح عاريًا في منتصف الشارع وعاجزًا عن الحركة .. راحت ضحكته تخفت تدريجيًا حينما بدأ يحاول جر قدميه المرتجفتين عائدًا إلى منزله .. كان ذلك نوع من الذكريات التي تبعثرها حقارتنا المألوفة بعفوية خالصة.

دنس قرائي ...

عبد الرحمن الشرقاوي: تقوم الانتقادات والمآخذ التي يشرّعها "نجمك المفضل" اليوم على إرادة دائمة لاكتساب الأنا الفردية القارئة تلك الذات كلية المعرفة، المنطوية على قوة إدراكية مطلقة، وبالتالي يجدر بها امتلاك سلطة الهيمنة خارج ما يمكن أن يُفترض كحدود لوعيها.

تستدعي هذه الذات الصوت البلاغي الذي يحتّم أن يكون لرؤيتها في لحظة معينة بداهة عامة، حكمًا استحواذيًا قادرًا على توظيف التعارضات كافة لإثباته .. كأنها ـ مع اختلافاتها ـ تكرّس خطابًا ضمنيًا جماعيًا، تتباين مستويات حدته يقول: "أنا أعرف ما هي الكتابة، والكيفية الصائبة الوحيدة لمقاربتها .. ما الذي يجب أن يُكتب وما لا ينبغي .. كيف، ومتى يُكتب؛ ذلك لأنني دائمًا أتخذ الجانب الصحيح من كل شيء، وهذا ما يعطيني الحق الشامل في أن أكون معيارًا واجبًا للجميع، وبالضرورة ليس للآخرين الحق في رفض أو معاداة ذلك" .. هذه الذات تتحدث كإله يتفرّد بالهيمنة على الحياة والموت.

نجيب محفوظ: إن ما يسمح بوجود مساحات التوافق والتقارب الطاغية بين هذه الممارسات اللغوية العدائية في حضرة الدكتور طه حسين هو استعمالها المستمر لمجاز السلطة حيث كل ما تم الاستقرار عليه ـ أو ما يبدو كذلك ـ في الذاكرة الفردية، والذي يتخذ ظاهريًا شكل المسلّمات العمومية، أصبح حاكمًا باختلافاته وتناقضاته؛ لذا تتحوّل المحاذير الشائعة إلى خامات يجب توظيفها مهما كانت متغيّرة، ومهما كانت غير مهيّأة للتجانس مع مفاهيم / أحكام أخرى .. تتحوّل العاطفة، والتميات المتصفة بالتقليدية، والخيالات التي يُشار إليها كصور نمطية إلى فرص للإدانة .. "كيف تجرؤ أن تتألم بهذه الطريقة الخاطئة؟" .. يتحوّل التأويل الذي يخلق الاستفهامات، ويؤجّل المعنى، ويحرر النص من الغايات القاصرة إلى مبرر للاتهام .. "مهما تكن حياتك التي أجهلها؛ لكنك يجب أن تفكر في العالم، وتعبّر عن تجاربك من خلال بصيرتي" .. هذا ما يُفسر أيضًا لماذا تتشابه الذخيرة اللغوية المستخدمة ضد العمل الأدبي الذي لا يسعى وراء هدف مثالي، أو على الأقل لا يحوم حول غرض مناوئ للقبح "كما يتم تعريفه في وعي القارئ" وبين المستخدمة ضد العمل النقدي الذي لا يحاكم هذا النص وصاحبه، ولا يعيد تذكيره بـ"الهموم الحقيقية" للواقع أو الوطن أو العقيدة أو الأمة أو الإنسانية ... إلخ، ولا يضيء له "الطريق الصحيح" ليكون إنسانًا وكاتبًا أفضل.

محمود أمين العالم: يضمن هذا البرنامج نمطًا مهيمنًا من المقاربات، حيث يوظف القارىء جسده شبقياً كمستثمر سادي يستغل الضعف الاجتماعي للنص ـ أي لاأخلاقيته المعادية لما ينظر إليه كنظام محسوم من القيم البديهية العامة ـ هذا الاستغلال يتولى تثبيت جسد القارىء كعنصر ممارس ينتمي إلى التقاليد التي تكوّن ما يتم اعتباره السلطة الأخلاقية للمجتمع، وليس مجرد تابع أو خاضع لها (عقاب الكاتب بواسطة التعذيب اللفظي كجزاء منطقي يتلاءم مع انحرافه السلوكي في الكتابة.. تقويمه وضبط أفعاله بما يتوافق مع "المبادىء السائدة" عن طريق دمج التعذيب اللفظي بمحاولة إجباره على كتابة راضخة لهذه "الأسس الأخلاقية".. التحريض ضده أي تحذير القراء الآخرين من قراءة أعماله، وتوسيع مجال العقاب ليشمل القراء والنقاد المحتفين بكتاباته، وقد يصل الأمر إلى الملاحقة القانونية .. مراقبته أي تتبع وجود نصوصه داخل الأماكن التي يمكن من خلالها توجيه العقاب والضبط والتحريض ضده) .. هذا التوظيف السادي هو بكيفية

أكثر جذرية توطيد مازوخي لعلاقة جسد القارىء (الذي فاز بكبت جديد عندما تصدى ليقمع كتابة انتهاكية) مع ما يعد بالنسبة له السلطة الأخلاقية للمجتمع، بعد أن ساهم في حمايتها بتقديم جسده قرباناً مروضنا لهذه السلطة (أي متخلصنا من دنس قرائي، ومُكفِّرا عن خطاياه السابقة بمحاربة خطيئة لم يرتكبها).

أنف كبير ...

عبد الله عبد الحفيظ ابراهيم فاروق .. 36 سنة .. عاطل .. عُثر عليه مقتولًا داخل شقته في الدور الرابع بالعقار رقم (6) بحارة العطافي المتفرّعة من شارع محمد فريد في منطقة ميت حدر .. وُجدت جثته عارية تمامًا، وتحتوي على طعنات في العينين والأذنين وفتحة الشرج، كما قُطع أنفه ولسانه وأصابع يديه وقدميه فضلًا عن طعنة في القلب .. عُثر فوق بطن الجثة على أثر سائل منوي يُحتمل أن يكون للقاتل.

سيد أحمد عباس الحناوي .. 37 سنة .. بائع ملابس متجوّل .. عُثر عليه مقتولًا داخل الشقة نفسها بمنطقة ميت حدر .. وُجدت جثته عارية تمامًا، وتحتوي على طعنات في العينين والأذنين وفتحة الشرج، كما قُطع أنفه ولسانه وأصابع يديه وقدميه فضلًا عن طعنة في القلب .. عُثر فوق بطن الجثة على أثر سائل منوي يُحتمل أن يكون للقاتل.

تم اكتشاف رسم بالدماء (يُرجّح أن يكون مزيجًا من دم القتيلين) فوق حائط بغرفة المعيشة التي وُجدت الجثتان داخلها، يصوّر أنفًا كبيرًا، وبجواره كتابة بالقلم الفحم لمقطع من إحدى قصائد بودلير:

أيها الموت، أيها القبطان العجوز، هو الوقت! فلترفع المرساة!
هذه البلاد تُضجرنا، أيها الموت! فلنُبحر!
فإذا ما كانت السماء والبحر سوداوين كالحِبر،
فقلوبنا التي تعرفها مليئة بالأشعة!.

لم يُعثر على الملابس التي يُحتمل أن القتيلين كانا يرتديانها عند وقوع الجريمة، كما لم يُعثر على الأسلحة والأدوات المستخدمة في القتل والتقطيع داخل المنزل.

وُجد قناع كارتوني ملتصقًا بوجه القتيل الأول للكاتب "أنيس منصور"، كما وُجد أيضًا قناع كارتوني ملتصقًا بوجه القتيل الثاني للكاتب "كامل زهيري".

قضايا ومستقبل الفن المعاصر ...

داخل قاعة لامعة، تطل نوافذها الزجاجية الضخمة على نيل القاهرة وبحر اسكندرية معًا؛ يجتمع على فترات متقاربة مجموعة معروفة من شباب الأدباء والسينمائيين والمسرحيين والتشكيليين والموسيقيين والنقاد والصحفيين لبحث (قضايا ومستقبل الفن المعاصر) .. في كل اجتماع أكون آخر من يدخل إلى القاعة، وحينئذ تُغلق الأبواب، وتُرفع الستائر، وتبدأ النساء الحاضرات في التعري .. أضاجع امرأة تلو الأخرى فوق مائدة الاجتماع الهائلة، وأثناء ذلك تشرع كل منهن في عمل جديد بحسب تخصصها: تكتب نصًا أدبيًا، سيناريو فيلم، عرضًا مسرحيًا، ترسم لوحة، تُؤلف لحنًا أو أغنية، تكتب مقالًا نقديًا، أو تحقيقًا صحفيًا .. يظل جميع الرجال واقفين ووجوههم ملتصقة بالنوافذ الزجاجية الضخمة حتى أنتهي من الجسد الأخير وأغادر القاعة مع انسدال الستائر مرة أخرى .. يعودون جميعًا إلى مقاعدهم لتطلع كل امرأة منهن العمل الذي بدأته على الرجل الذي يشاركها المجال نفسه .. يبدأ كل رجل بدوره في التخطيط للعمل الخاص به وفقًا لما طرحته عليه تلك المرأة .. ينتهي الاجتماع، ويرجع كل منهم إلى بيته، وحتى يُعقد الاجتماع التالي؛ يرسلون جميعهم لي عبر صفحاتهم على السوشيال ميديا رسائل شكر وامتنان، مشفرة برموز مأخوذة من النصوص والأعمال الفنية التي خُلقت داخل القاعة.

حياته التي لم تشبه أي حياة، وموته الذي يطابق موت الجميع ...

يكتب المحقق وصفًا دقيقًا للجثث، والأماكن التي وُجدت بها، ومواضع إصاباتها كأنه يرسم لوحة شاملة لـ "ميت حدر" .. واحدة من أكثر المناطق التي تستعملها المدينة لإثبات نفسها كمتاهة سرية للأشباح .. هذا ليس اندفاعًا نحو التيه، وإنما تجاوبًا مع القاتل .. توحدا مع ذاته التي تؤكد حضورها بواسطة إشارتين غير منسجمتين .. القاتل لا ينسج ظلامًا حول نفسه بل على العكس هو يحضر أمامنا ولكن بطريقته التي لا تخصنا، وهذا ما يجعل صورته معتمة.

"ميت حدر" روح شبقية متآمرة تخلق وتتلاعب بالمخبوءات المشينة الممتعة، والعنف الحميمي المتلون حيث تنشط الجريمة كعقل وروح .. كجوهر فاتن للقاع.

لا يعتقد المحقق أن انتقام القاتل يرجع إلى التاريخ الإبداعي لهؤلاء الكتّاب وإنما إلى تاريخ أخر .. تاريخهم الرمزي .. ما يمثله وجودهم كمرجع رقابي في اللحظة التي عُقدت خلالها تلك المقابلة التليلفزيونية .. ما أنتجه حضورهم الإلهي قبلها، وما كرّسه بعدها.

ثمة نسختان للقاتل إذن .. الكاتب وفرد الواقع الذي يسكن ويمر من "ميت حدر" .. لكنهما ليستا نسختين متضادتين .. هما نسختان متداخلتان، متحالفتان في عقلانية خاصة، وجنون دموي استثنائي .. منطق "كتابة" أفرزته الكوابيس التدميرية التي لا تتعلّق بوحدة القاتل فحسب وإنما بالكون كإله .. بالإله كقدر .. بكل ما يُفترض أن يكون إلهًا .. القاتل يمثّل بجثة الإلوهة كفكرة، كتجسيد من أي نوع، كإرادة تُسيّر وتخلّد بشاعة العالم وفوضاه، وحقارته والسفالة التبريرية لوجوده .. القاتل يقيم قيامة لمعنى الإله المفتوح على جميع الآلهة .. شيطان يتبوّل على الأسرار والأرواح والعقائد وما وراء الزمن .. يُعشّم كل رحمن رحيم بالمغفرة ثم يذيقه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب إله.

روائح الصدوع والظلال المتأرجحة فوق غبار الأرصفة، والخيالات المتواطنة للأرضيات الأسفلتية المتكسرة وواجهات البيوت المتهدمة واللافتات الخشبية المتآكلة والحواف الصدئة لمداخل الدكاكين والمحلات، وظلامها الرابض حول خفوت أضوائها .. "ميت حدر" تلهو بالأجساد في طقوس شهوتها المحمومة عبر البوابات الصغيرة والسلالم الضيقة والعتبات المتقشّرة، وفي عناية الطلاسم والتعاويذ البدائية للأبواب والنوافذ والشرفات والأركان الأمومية حيث تكمن أطياف التناسخ المطلق الماكرة والمتوعدة داخل الدروب القديمة الضئيلة والمنزوية .. شبكة عتيقة من ممرات اللذة، تتدفق عبرها سوائل المضاجعات وروائحها المتسللة من الانطواءات المقفلة، المفتوحة على بعضها في اندماج وتجاور ضبابي مرتعش، تتبدل طبيعة وحركة أشواقها وملامساتها والتحاماتها بحسب فترات اليوم وفصول السنة .. لكل لحظة نشوتها، بردها، دفئها، وغيومها الخاصة.

يتوحد المحقق ويغيب داخل الاستراقات والاختلاسات التي تستقر وتدور في مكائد الجنس والعنف والكوميديا الممتزجة في "ميت حدر" كسلالات لخفاء الماضي، كل الماضي، ولتواريخ الشبق المتوارية في كتب السحر لجميع الشعوب، ومخطوطات الانعزاليين المنكمشة على أحلام وأمزجة المتعة التدميرية للمدن القديمة: موسكو تشيكوف، براغ كافكا، باريس موباسان، بيونس أيرس بورخيس، دبلن جيمس جويس، نيويورك سالنجر، سان بطرسبرج دوستويفسكي .. ذاكرة

تشكّل عري الأجسام التي تطارد بعضها في غابة الهمسات واللهاث والتأوهات الممتدة والمتشعّبة في الأزمنة الغابرة.

لا توجد انهيارات .. لم يكن هناك أبدًا شيء حتى ينهار .. فقط رقصات طيور الشيطان المحلقة في عتمة سماء لانهائية .. سماء العدم التي تحتدم أسفلها ما نظنها أشلاء وأنقاض الولادة: الشعور والعيون والأنفاس والشفاة والألسنة والأثداء والبطون والفروج والأفخاذ والمؤخرات، والقضبان المنتصبة التي تروح وتجيء داخل الفتحات النارية، المشرعة في كل وقت وكل اتجاه، وتبدّل بينها وتوزّع مساراتها لتهيمن على السرائر والحجرات ومواضع الخطوات كافة.

يراجع المحقق ما كان عليه القتلى في أيامهم الأخيرة .. لحظات ما قبل النهاية .. جيرانهم .. مكالماتهم التليفونية .. وجودهم على مواقع التواصل الاجتماعي .. رسائلهم على البريد الإلكتروني والهواتف المحمولة .. يفعل هذا بدافع جنون العظمة .. محاولة السيطرة على "الكتابة" في كل مكان وزمان .. على كل ما لم يُكتب بعد .. الاستحواذ الشامل على جميع القصص .. الاستيلاء الأبدي على الكتابة في ذاتها .. التخلص من خيبة الأمل النرجسية حيث لا يفعل في قصصه ما يريده حقًا .. البقاء في الأمان النرجسي الملعون أو سعادة إعطاء تأكيد مختلف كل مرة بأنه لم يكتب ما يريده بالفعل .. المرض بكونه ليس أخطبوطًا كونيًا "يعيش كل الحيوات ويموت كل الميتات" .. ها هو يرددها مجددًا، ولن يتوقف حتى تنتهي حياته التي لم تشبه أي حياة، ويغيب في موته الذي يطابق موت الجميع.

غنيمة مجانية ...

حينما كان في المرحلة الثانوية كان له صديق مقرّب يزوره في بيته بميت حدر ويخرج معه بشكل يومي تقريبا .. كان يمكن أن يكون هذا عاديا لولا أننا اكتشفنا في أحد الأيام أنه وصديقه يسيران وراء جارته الطالبة في المرحلة الثانوية أيضا وشقيقتها الكبرى التي تدرس في الجامعة .. عرفنا أنهما يتتبعان البنتين كل مساء حينما تخرجان من شقتهما في الدور الأرضي بالبيت الذي يسكنه، وتتجولان في شارع البحر أو السكة الجديدة أو في أي مكان آخر .. كانت الأخت الكبرى في عمر يتجاوزه هو وصديقه، لذا أدركنا أن شقيقتها الصغيرة هي المستهدفة .. لم نفكر في احتمال أنه ربما يكون هو الذي يحبها، ويعجز عن التحدث إليها بالرغم من كونها جارته، وأنه يتمنى حقًا الارتباط بها وليس مجرد قضاء بعض الوقت معها .. لأننا أبناء متناكة قررنا أن من يريد تلك البنت هو صديقه الذي يرافقه في المشي ورائهما كل ليلة، وأنه قوّاد يستغل كونه جارا لها في مساعدة هذا الصديق على التقرّب منها.

شعرنا بالنشوة تجاه ما بدا لنا غنيمة مجانية لا يجب التهاون في استغلالها .. قررنا ـ كأبناء متناكة ـ مطاردته في كل مكان يذهب إليه وسبّه من على مسافة تتيح له السماع بوضوح: يا عرص .. كان الأمر سهلًا وممتعا ذلك لأننا انتهزنا ـ كأبناء متناكة ـ أنه ولد غير مؤذ، لم يتورط على الإطلاق في مشاجرة أو مشكلة أو حتى احتكاك بسيط مع أحد داخل الحي الذي شكلت العداوات والصراعات والصدامات الدموية تاريخه وهويته .. لم تكن لذلك الولد أيضا علاقة بأي شخص في المنطقة يمكنه أن يحميه من دناءتنا .. ظللنا نلاحقه بلذة كوننا من أبناء الشارع الذين يسيطرون عليه مع أقرانهم المستعدين دوما لمشاركتنا إهانة ولد ضعيف مثله، والتعاون معنا في مجازاته لو فكر أن يدافع عن كرامته .. كانت نشوتنا تتضاعف حينما نقوم باصطياده وهو يقف في مكان ما مع أصدقاء له، أحياناً يكونون من أصحاب الأعمار الكبيرة، محاولاً إخفاء شعوره بالإذلال أمامهم عندما يرانا قريبين منه ونناديه عليه: يا عرص .. كان يطيب لنا أحيانًا أن نمزج بين هذا اللقب وسخريتنا من أنفه الكبير: يا عرص يا بو مناخير كبيرة .. كانت نظرات الواقفين معه تتنقل حينئذ باستغراب وتساؤل بين وجوهنا الضاحكة ووجهه المشتعل الذي يكافح للتظاهر بأنه ليس المقصود بتلك الشتيمة .. كنا وضيعين للدرجة التي لم يكن من الممكن أن تسمح له أبدا بالتصدي لنا أو اتقاء شرنا .. كان يدرك أنه ليس أمامه سوى مواجهة وضاعتنا؛ الأمر الذي سيكلفه قطعا ما لا يمكن أن يتحمّل خسارته؛ إذ أن الشيطان الخفي لغضبه، والذي لا يدري أحد شيئًا عنه، مهيّأ تمامًا ـ لو اقتضى الأمر ذلك ـ للوصول بسهولة إلى ذروة تدميرية يصعب السيطرة عليها، والقيام بما لا يمكن تصديقه أو تصوّره .. إما هذا أو يتجاهل رغمًا عنه ما نقترفه في حقه.

بعد فترة، وحينما علمنا بخطوبته على جارته، وأننا كنا مخطئين في اعتقادنا؛ توقفنا عن إهانته .. لم نعتذر له، وإنما فقط توقفنا عن إهانته .. كان هذا يكفي لأننا حقيرين من سلالة حقيرة.

السرديات الآمنة ...

أنيس منصور: قد تفسر هذه الحلقة التليفزيونية بشكل ما الطغيان التاريخي لما يمكن تسميته بـ (السرديات الأمنة) في الكتابة الأدبية العربية، بما اشترطته كأحكام منظّمة للتلقي مثل: (الموضوع.. المعنى.. الرسالة.. الهدف.. المغزى الدلالي.. الاستفادة.. المتعة الجمالية)، والتي لم تكن هيمنتها راجعة إلى الإجراءات الصارمة للتنميط والفرز والإقصاء (القانون فوق الرسمي)، بل كانت على نحو جوهري ناجمة عن استسلام الكتابة الأدبية الغالب، واللازمني، لأنساق القراءة التي رسّخها المقدس الديني.

كامل زهيري: في "نجمك المفضل" كتّاب ونقاد لا فرق بينهم وبين القراء الذين لا يقدمون أنفسهم كنقاد .. أجيال متعاقبة ستعيش بمعنى الكلمة عالة على النقد الأدبي بفضل هذه السلطة: "فشل الكاتب في كذا"، "أخفق الكاتب في كذا"، "لم ينجح الكاتب في كذا"، "هذا عمل مبتذل"، "هذه كتابة رديئة"، "هذا كاتب يسعى للشهرة"، "نحن في فوضى أدبية تسمح لكل من هب ودب بالكتابة" ... إلخ، وعلى جانب أخر - وهذا منطقي - تجدهم بارعين تمامًا في كتابة ملخصات للأعمال الأدبية، وفي إخضاع النصوص للدلالات المستهلكة، وتدوير المعاني التقليدية المغلفة أحيانًا بالتحذيرات الرقابية.

الوداع الذي يسبق الوجود ...

بدأت في كتابة قصتي القصيرة "... ولقلبي سواده الفاتن" في نفس توقيت كتابة نوفيلا الجريمة الاستدراكية هذه .. في القصة القصيرة حاولت التغلب على الحسرة والندم بطريقة تأملية ساخرة باعتبار أن ما حدث كان يجب أن يكون نتيجة الأسباب القهرية التي فرضت ذلك .. في النوفيلا حاولت اللحاق بأي تعويض، ككتابة كل ما كان ينبغي أن يحدث ممزوجًا بما خرجت به من الماضي البائس من ذكريات وأحلام ورؤى اليقظة .. في القصة القصيرة حاولت تثبيت يقين ـ بالرجوع إلى ذاكرات كتابية أخرى ـ بأنني فعلت ما كان يجب أن أفعله، وعشت الحياة اللائقة بي، والتي أستطيع أن أبرر كل لحظة فيها .. في النوفيلا فكرت في متعتها التي لم أعشها من قبل، وكيف أنني لم أكن من الممكن ـ نتيجة ما سبق ـ أن أجرب هذا السحر الناجم عنها إلا في الوقت الحالي: العزلة الكاملة ـ القطع التام للعلاقات القديمة مع الآخرين ـ الوصول إلى عمر الرابعة والأربعين، بما يعني أنه شيء يحدث بشكل تدريجي، وكان لابد له من المرور عبر الجحيم السابق من الشخصيات والأحداث والكتابات .. كأنني أقول في القصة: حدث الماضي، وكانت لدي مبررات في التعامل معه بتلك الطريقة، إضافة للظروف البشرية والمادية التي لم أستطع منعها أو الهروب منها (الوعي بالشر في قلب كل جمال أحاول الاستمتاع به حيث لا شيء مثالي، ولا أرضى إلا بما هو كامل ومحصّن، كتحدٍ لصنيعة الكون .. التمرد الناجم عن نشأتي وعما جرّبته في طفولتي، وما مررت به طوال مراحل عمري، عائليًا بالأخص) .. أردت الخروج بالنوفيلا إلى الواقع كما عليه سحرها، حتى أنني حلمت اليوم بدمج شكل من الانتقام كمثال مع إحدى حالات المزج بين الذاكرة الطفولية وأحلامي بالمدينة، كما فكرت صباح اليوم أيضًا في كيفية تحويل حيز من البيت إلى مكان ملاءم لكتابة نوفيلا الجريمة هذه، كما اعتبرت التطوير المكتشف أمس في تيليجرام والخاص بمعرفة القريبين جغرافيًا إشارة دالة لهذا .. لكن المشكلة أن البيت والحياة لا يساعدان، مازلت عاجزًا عن فعل الأشياء الجميلة لأنها لا ينبغي أن تحدث في هذا البيت وفي هذه الحياة، وكل المحاولات السابقة لفعلها أثبتت ذلك حتى انتهى الأمر بالامتناع عنها مع وصول الوعي بالحقارة الكونية إلى ذروته .. مازلت عاجزًا عن الاستمتاع الحسي كما يجب والتوصل لأفكار وحلول مبتكرة لذلك (رغم أنه المنطقي وفقًا لهيمنة الواقع وتسلط طبيعتي وتأكيدات الذاكرات الكتابية الأخرى)، أما عن حسرتي حول لماذا لم أفكر في هذا الدمج بين الانتقام وأحلام الذاكرة من قبل؛ فذلك لأنني وصلت الآن إلى ما يجعل هذه اللحظة (الدمج) تحدث.

أكتب هذا وأنا أفكر في طفلتي باعتبارها هامشية تعيسة في العالم الافتراضي، لا تنجح فيه، ولا تأمن شره، ولا تعيش حياة طفولية لائقة بديلة له .. تكرر سيرتي أمها وعمتها اللتين لم تجرّبا العوالم الروائية والسينمائية المفضلة لي، أو حتى امتلاك نوعية صفحات النساء اللاتي أتابعهن على تويتر.

كل محاولة لصنع شيء جميل سواء يخص الذاكرة أو الاستدراك أو التعويض تقتلني مهما كانت بسيطة كالوقوف في الشرفة عند تساقط المطر مع مراقبة الغيوم و تنفس رائحة الشتاء .. ماذا لو أحضرت (أحلام اللعنة العائلية) وقرأت منها أثناء تلك اللحظة .. ما أراه يفسد الحلم .. ما أقرأه يفسد الحلم .. الحلم يعني ألا أرى غيره حتى لو كان منظرًا طبيعيًا ساحرًا كبحر أو امتداد

أشجار كثيفة أو غروب سماوي من مكان عال .. نفس الأمر مع الأغنية أو الصورة القديمة أو الأثر المنتمي إلى الذاكرة (الوعي بالواقع وبنفسي يقتل أي محاولة) .. حتى سعادة نوفيلا الجريمة مثلها كأي شيء جديد مبتكر مدهش وما حوله يفسده .. البيت والشارع والعمر والأشخاص والأشياء والعجز عن العودة .. إفساد الشعور بالنوفيلا حين يغمرها التفكير في عناصر الطبيعة الشتائية بينما أقف في الشرفة باعتباري أقبض على الشارع والمدينة والذكريات والعالم من خلال نوفيلا كتلك مثلما يفسد غمس الشعور بنصوصي ودراساتي النقدية وورشتي القصصية في حالات من جمال الطبيعة مثل تنويعات الشتاء .. لا يوجد اكتمال محكم محصن يضمن هذا .. كل قسوة وموت وألم سابق يتدخل في كل شيء سواء يتعلق بي أو يخص العالم .. أنا بحاجة مستمرة للرجوع لكل شيء في هذا الأمر أي أصول تخريب الوعي للجمال أو تفكيك المقولات الرخيصة منذ ما قبل الولادة .. الرجوع دائما لكل شيء في هذا الأمر .. هكذا أهدرت حياتي .. الوداع الذي يسبق الوجود.

*تعتمد الفقرات الحوارية لحلقة البرنامج التليفزيوني "نجمك المفضل" في النوفيلا بشكل كامل على كتابي "نقد استجابة القارئ العربي - مقدمة في جينالوجيا التأويل" / دار ميتا 2019

*المراجعة المستخدمة في جزء "مكافحة النار بالنار" كتبها أحد القرّاء على موقع جودريدز عن روايتي "الفشل في النوم مع السيدة نون" / دار الحضارة 2014

ممدوح رزق

كاتب وناقد مصري

ولد في (المنصورة) 1977

ترجمت نصوصه إلى الإنجليزية والفرنسية والإسبانية.

يقوم بتدريس القصة القصيرة في ورشته للكتابة الإبداعية.

شارك في تحكيم العديد من جوائز القصة القصيرة.

شارك في العديد من الملفات الثقافية بالصحافة العربية.

ألقى العديد من المحاضرات حول الكتابة والنقد الأدبي بمؤتمرات ومراكز ثقافية مختلفة.

ينشر ترجماته للقصة القصيرة في المطبوعات الثقافية العربية.

كُتبت العديد من الدراسات والقراءات النقدية عن أعماله.

اختيرت قصته القصيرة "اللعب بالفقاعات" ضمن المجموعة القصصية التي تُدرّس لدارسي اللغة العربية، غير الناطقين بها، كنموذج للقصة العربية المعاصرة بجامعة ييل الأمريكية.

اختير كتابه "هل تؤمن بالأشباح؟" عن كلاسيكيات القصة القصيرة كمرجع دراسي لطلاب قسم اللغة الإنجليزية بجامعة الأقصى.

ينشر نصوصه ودراساته في الأدب والفلسفة والسينما والتحليل النفسي والمسرح والفن التشكيلي والتاريخ الثقافي في العديد من الصحف والمجلات والدوريات والملاحق والمواقع الأدبية.

كتب:

- ولقلبي سواده الفاتن / قصص قصيرة - مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع بالعراق 2021

- نقد استجابة القارئ العربي / مقدمة في جينالوجيا التأويل - دار ميتا للنشر والتوزيع 2019

- المطر في كارمينا بورانا / قصص قصيرة - دار ميتا للنشر والتوزيع 2019

- تشارلز بوكوفسكي .. ما وراء اللعنة، وقراءات نقدية أخرى - دار عرب للنشر والتوزيع 2019

- جرثومة بو / نوفيلا - دار عرب للنشر والتوزيع 2018

- إثر حادث أليم / رواية - الهيئة المصرية العامة للكتاب (سلسلة إبداعات قصصية) 2017

- خيال التأويل / قراءات نقدية - مؤسسة نور نشر الألمانية 2017

- هل تؤمن بالأشباح؟ / قراءات في كلاسيكيات القصة القصيرة - دار ميتا للنشر والتوزيع 2017

- هفوات صغيرة لمغير العالم / قصص قصيرة - منشورات بتانة 2017

- خيانة الأثر / الدراسة الفائزة بجائزة المقال النقدي بالمسابقة المركزية للهيئة العامة لقصور الثقافة 2016 - دار ميتا للنشر والتوزيع 2016

- عتبات المحو / مقالات في النقد التطبيقي - دار عرب للنشر والتوزيع 2016

- دون أن يصل إلى الأورجازم الأخير / قصص قصيرة - مؤسسة المعبر للثقافة والإعلام 2015

- بعد صراع طويل مع المرض / شعر - دار عرب للنشر والتوزيع 2015

- فأر يحتفل بخطاب الحقيقة / مسرحية - دار عرب للنشر والتوزيع 2015

- الفشل في النوم مع السيدة نون/ رواية - دار الحضارة للنشر 2014

- مكان جيد لسلحفاة محنطة / مجموعة قصصية - سلسلة حروف (الهيئة العامة لقصور الثقافة) 2013

- الخبراء في الحياة / مسرحية من فصل واحد - دار ميتا للنشر والتوزيع 2013

- عداء النص / مقالات نقدية - دار حروف منثورة للنشر الإلكتروني 2013

- صندوق الذكريات / مجموعة قصصية للأطفال - دار عرب للنشر والتوزيع 2013

- خلق الموتى / رواية - سلسلة إبداع الحرية 2012

- قبل القيامة بقليل / مجموعة قصصية - دار عرب للنشروالتوزيع 2011

- سوبر ماريو / رواية - دار ميتا للنشر والتوزيع 2010

- بعد كل إغماءة ناقصة / نصوص - دار المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات 2009

- السيء في الأمر / نصوص - دار أكتب للنشر والتوزيع 2008

- رعشة أصابعه .. روح دعابة لم تكن كافية لتصديق مزحة / نصوص - مكتبة معابر الإلكترونية 2004

ـ جسد باتجاه نافذة مغلقة / مجموعة قصصية ـ سلسلة أدب الجماهير 2001

ـ احتقان / مجموعة قصصية ـ سلسلة إبداعات (الهيئة العامة لقصور الثقافة) 2001

ـ انفلات مصاحب لأشياء بعيدة / مجموعة قصصية ـ مطبوعات إقليم شرق الدلتا (الهيئة العامة لقصور الثقافة) 1998

كتب مشتركة:

ـ يوم واحد من العزلة / مجموعة قصص قصيرة جدا مع كتّاب عرب ـ دار فراديس للنشر والتوزيع 2013

ـ الكاتب وتحديات اللحظة الراهنة / دراسات مؤتمر اليوم الواحد لاتحاد الكتّاب مع نقاد مصريين 2012

ـ النمو بطريقة طبيعية / مجموعة قصصية مع كتّاب مصريين ـ دار ملامح للنشر 2009

ـ العامية كنز الإبداع / دراسات الملتقى الثاني للغة بيت العامية المصرية مع نقاد مصريين 2009

ـ ملامح وعرة / ديوان شعر مع الشاعرين السوري (عبدالوهاب عزاوي)، والعراقي (صلاح حسن) ـ اتحاد كتّاب الانترنت العرب 2005

أفلام:

ـ قصة فيلم (مكان في الزمن) / روائي قصير ـ إخراج: نواف الجناحي 2019 / عُرض بمهرجان شيكاغو السينماني الدولي 2020

ـ قصة وسيناريو فيلم (إخفاء العالم) / روائي قصير ـ مع فناني أفلام اسكندرية المستقلة / إخراج: محمد صبري 2012

ـ سيناريو فيلم (من أجندة الخيانة) / روائي قصير ـ بالاشتراك مع المخرجة الإماراتية (منال بن عمرو) / مجموعة دبي للأفلام ـ إخراج: منال بن عمرو 2008 / شارك بمهرجان الخليج السينماني 2008

ـ قصة وإخراج فيلم (بازل) / موبايل ـ شارك بمهرجان القاهرة لأفلام الموبايل 2008

جوائز:

ـ جائزة المسابقة المركزية للهيئة العامة لقصور الثقافة عن المقال النقدي (خيانة الأثر) 2016

ـ القائمة القصيرة لجائزة (ساويرس) في القصة القصيرة عن مجموعة (مكان جيد لسلحفاة محنطة) 2015

- جائزة اتحاد كتّاب مصر عن قصة (دخول المرآة) 2014

- جائزة نادي القصة عن قصة (إنقاذ جيروم) 2013

- جائزة رابطة الأدباء العرب عن قصة (التخلص من الذباب) 2013

- جائزة (أحمد بوزفور) المغربية في القصة القصيرة عن قصة (إنقاذ جيروم) 2013

- جائزة شبكة المنصورة الإخبارية في القصة القصيرة عن قصة (الثقب الذي لا يعنينا في الساحر الطيب) 2012

- جائزة دار ملامح للنشر في القصة القصيرة عن قصة (النمو بطريقة طبيعية) 2008

- جائزة ملتقى مدد في الشعر عن نص (نار هادئة) 2007

- جائزة منتدى جريدة شروق الإعلامي الأدبي في القصة القصيرة عن قصة (بلا أدنى خجل) 2006

كشف المحقق من قبل عن الأصل الواقعي لرواية "القضية الغريبة لدكتور جيكل ومستر هايد" وهو قضية مقتل دكتور جورج باركمان على يد صديقه دكتور جون ويبستر عام 1849، بكلية الطب جامعة هارفارد في مدينة بوسطن الأمريكية .. الدافع وراء تبرير إدجار آلن بو القسري لتحليلات "سي اوجست دوبان" صديق الراوي في قصة "جريمة شارع مورج" وهو أن دوبان يمثل النسخة المضادة لـ "بو"، التي تكوّن مع الراوي تناغمًا مع مثلية كونية تدعمها نظريات ابيقور .. السبب الذي جعل اجاثا كريستي تضحي بالحبكة للتستر على حارس المتنزه في قصة "الكلب المفقود" وهو عاطفتها تجاه مس كارنابي التي أرادت أن تضمن لها العفو من خلال تسوية أخلاقية مع بوارو .. قرائن المشابهة التدميرية بين هانتا في رواية "عزلة صاخبة جدًا" لبوهوميل هرابال، وجان باتيست غرنوي بطل رواية "العطر" لباتريك زوسكيند: القبو الذي كان يسحق هانتا الكتب داخله ومدبغة جريمال التي عمل غرنوي وسط روائحها النتنة، استخراج هانتا الأفكار من جثث الكتب واستخلاص غرنوي العطور من الجثث البشرية، كلاهما موصومان بلعنة حسية؛ هانتا بسبب قذارته الجسدية ـ حيث تعيش الفئران في ملابسه، ولا يحب الاستحمام ـ الناجمة عن الطبيعة الكريهة لعمله وغرنوي نتيجة غياب الرائحة عن جسمه، الوحدة، تحوّل هانتا إلى كيان من شظايا اللغة المنتزعة من الكتب التي تلفها وتحوّل غرنوي إلى مزيج من عطور البشر الذين قتلهم .. التوحد بين "لانير" الذي قتله اهل القرية و"بروديك" الذي اجبره رجالها على كتابة تقرير تبريري يحميهم من الإدانة في رواية "تقرير بروديك" لفيليب كلوديل؛ حيث الرواية حلم أو وثيقة سرية خلقها خيال بروديك الشخصية التقليدية المذعنة لسلطة العدة، وتكتب الواقع كيفما طلب منها، مخبئة افكارها ومشاعرها الذاتية في ظلام الوعي، وهو ايضًا الشخصية الجمالية المقابلة له (الآخر) التي تكتب الواقع (ترسمه) كما عاشته حقًا، وتعلنه بشجاعة ساخرة .. مصدر تحوّل (الأشياء) إلى (نصوص) في وعي فرجينيا وولف، وهو الاستغراق التام في القراءات المبكرة لكتب ابيها التي كانت بديلة لحياة طبيعية لم يُسمح لها بممارستها، وذلك ما جعل العلامات او الإشارات المكانية بالنسبة لها فضاءً نصيًا لتسرّب وتحوّل نصوص في نصوص أخرى، وعيّن التناص كجوهر لاقتفاء أثر أصوات الهذيان التي وثقتها رسالة انتحارها .. الدليل على ان موت الجدة في قصة "إبريق العرس" لفيليب سميث يُعد إتمامًا لزفافها المؤجل مع "تومي" حبيبها المنتحر، وهو وجود الإبريق كرمز احتفالي للزواج في يد الجدة بينما كانت تتحدث عن الساعة التي ارسلها إليها "تومي" يوم زفافها قبل انتحاره باعتبار هذه الساعة موعدًا لعرسهما الذي لا يقع داخل الحياة قبل أن يتدحرج الإبريق من يدها وتموت .. كشف المحقق ايضًا عن الأسرار في اعمال بيلي كولينز، دنيس ليفرتوف، كيم ادونيزيو، تيودور رتكي، لويز غليك، تيد كوزر، دوريان لوكس، ليديا ديفيس، خوسيه ميرينو، جي دي موباسان، خوسيه إميليو باتشيكو، كازو ايشيغورو، روث نسكولد، باسكال روز، كافكا، جون شتاينبك، خابير مارياس، خوان رامون ريبيرو، سكارلت توماس، جريس نيكولز، دوريس ليسنج، وغيرهم الكثيرين .. فعل ذلك كلما يرسم تصوّره الخاص للسفاح الأصلي، خالق الجمال كتوقع مخادع للغة، يتطوّر بإغوائها، ويتقمّص حكمتها، ويغيب في حقيقتها العميقة من قبل أن يوجد.